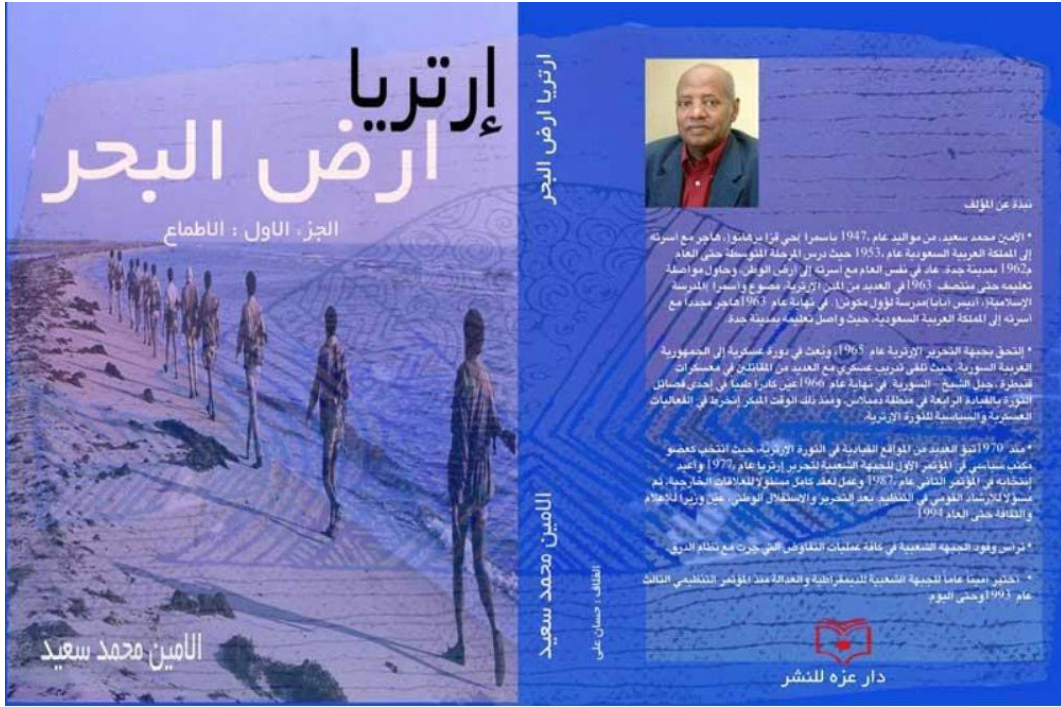


الحلقة الرابعة

الفصل الثالث

"إن تحرر أثيوبيا سوف لا يكون كاملا إلا بالحصول

على منفذ بحري" (1)



(1)

إستولى منصور الصغير على اهتمامات والديه. وبدأ يحذى برعاية اهله التامة. فقد كانت السيدة ملوك عبدالقادر تتولى اموره وطلباته الصغيرة، ولم تكن تسمح بان ينازعها احد في ذلك، حتى وان كان ادريس او فاطمة. فهي وما ان تقوم من مرقدتها في الخامسة صباحا، حتى تسارع الى حلب النعجة المخصصة له، ومن

(1) فقرة من خطاب الامبراطور هيلي سيلاسي في العام 1944م.

ثم ودون اي إستأذان تدخل مرقد ابنها ادريس، وتنتشل منصور من حضن والدته. وعلى الفور تقوم بغسل جسمه الصغير، وتقدم له توفته (1) الصغيرة المليئة بحليب النعجة، ليقوم بإفراغ محتوياتها، ومن ثم القيام برميها على الارض، حتى تدرك السيدة ملوك بان معدة حفيدها قد إمتلأة، وما ان تحس بذلك، حتى تقوم بملاعبته قليلا ومحاولة اضحاكه، لتعيده بعد ذلك الى امه، حتى تتفرغ هي للقيام باعمال المنزل الصباحية من تنظيف حوش الدار، وملئ ازيار الماء، ريثما يقوم ادريس من نومه في السادسة صباحا. ولا تبارح منصور منذ ان يذهب ادريس الى عمله في السادسة والنصف صباحا، والى ان يعود الى منزله في المساء.

لم يختلف ادريس عن والدته تجاه منصور الصغير، فقد كان مولعا به، الى درجة تصل حد التنافس بينه وبين أمه من ناحية وبينه وبين زوجته من ناحية اخرى. ويصل به الامر في كثير من الاحيان الى عدم قدرته في التوجه الى عمله دون ان يحتضنه ويوزع على وجنتيه العديد من القبلات حتى يحمر وجهه الصغير. وينتظر بفارغ الصبر قدوم المساء ليعود مسرعا الي بيته لاحتضانه، دون ان يكثر لبقية افراد الاسرة.

اما السيدة فاطمة فقد كانت هي الاخرى مولعة كثيرا بابنها، فهي وخاصة اثناء الليل لا تغض جفنها حتى يشبع ابنها من حليب ثديها، وتقوم بين الفينة والاخرى من نومها للإطمئنان عليه. ولا يستقر لها بال الا عند احتضانه.

أصبح منصور الصغير عامل اساسي ادخل الفرح والسرور في اوساط اسرة ادريس محمد صالح. ولم يكن احدا من افراد الاسرة الصغيرة الا وكان مهتما به. وبشكل خاص احمد شقيق ادريس. فهو وما ان يستفيق من نومه حتى يسارع الى احتضان ابن اخيه ويلاعبه. ولا يستقر له بال خاصة عندما يعود في المساء الى المنزل، الا بعد ان يشاهده ويحتضنه ويقوم بتوزيع القبلات عليه يمنا ويسرى.

(1) التوفة هي اناء لجمع الحليب، لها قعر عميق تصنع من ألياف أغصان شجر الدوم او النخيل.

كما اصبح منصور ايضا عاملا جامعا لافراد الاسرة مساء كل يوم، خاصة في ايام عطلات الاسبوع والاعياد. فهم كانوا يتحلقون حول منصور، الى ان يحين موعد آذان العشاء، وكل واحد منهم يسعى وبطريقته الخاصة الى لفت انتباهه، عله يجذي منه بضحكة او تكشيرة ما. وقد اوجد مثل هذا الجو الاسري حالة من الانسجام سواء بين ادريس واخيه احمد، او بين السيدة ملوك وزوجة ابنها السيدة فاطمة. وقد مكنهم هذا ايضا من الاهتمام بشؤون بعضهم البعض، ووطد من اوامر محبتهم. بالاضافة الى ذلك فتح لهم الباب واسعا لاجراء النقاشات والدرشات سواء ما يتعلق منها باوضاع قريتهم، او الاوضاع السياسية العامة للبلاد.

كان احمد شغوبا بمعرفة آخر التطورات التي تمر بالبلاد. فهو كان يشعر بان اخيه ادريس، وبماله من علاقات واسعة بمختلف المواطنين، وحتى القادمين منهم من اماكن اخرى، هو الشخص الوحيد الذي يمكن ان يعينه، ويغذيه بالاخبار السياسية، التي يمكن ان تساعده اثناء النقاشات السياسية التي يجريها مع اقرانه من شباب القرية.

وذات مساء وبينما كان الكل ملثقا حول منصور، بادر احمد مستفسرا عن ما آل اليه اجتماع بيت جرجيس:-

- كثر الحديث هذه الايام عن مؤتمر بيت جرجيس الذي عقد في نوفمبر 1946م اي قبل عام مضى. فبعضا من الناس يعتقدون بانه كان لقاء مفيدا امكن الزعماء من الخروج باتفاق يحفظ مصالحنا. والبعض الآخر لايرى في ذلك الاجتماع سوى مضيعة للوقت ولم يكن فيه اي فائدة، فما هي الحقيقة؟.

ادرك ادريس بانه المعنى بالرد على اخيه واجاب دون ان يراوغ:-

- لم يتمكن اجتماع بيت جرجيس بأحمد من التوصل الى اي صيغة تؤدي الى اتفاق حول المستقبل السياسي لارتريا.

وأضاف بعد ان اخذ نفسا عميقا:-

- ويعود السبب المباشر لذلك الاخفاق، للدور السلبي الذي لعبته الادارة

الاستعمارية البريطانية سواء فيما يتعلق بممارسة "سياسة فرق تسد"، او

فيما يتعلق بتقديم الدعم السياسي والمادي لحكومة الامبراطور الاثيوبي.

انزعج احمد من الصورة المتشائمة التي حاول اخيه طرحها. واراد معرفة الكثير،

عندما قال:-

- كيف يمكن ان نقول بان اجتماع بيت جرجيس كان فاشلا؟.

رد ادريس:-

- لم يمض الوقت طويلا على ذلك الاجتماع، حتى بدأنا نرى تهافت العديد

من المواطنين للإنضواء وبصورة ملفتة، في احزاب وتجمعات ذات ابعاد

وتوجهات طائفية، هذا يعكس مدى الفشل الذريع الذي تمخض عن

اجتماع بيت جرجيس.

واضاف ادريس وهو يحاول تحليل ذلك الواقع وانعكاسه على مصير البلاد:-

- ان حالة التجزئة الطائفية التي نعاني منها، لم تكن سوى نتاج لحالة

الانقسام السياسي التي تولدت من ذلك الاجتماع المشؤوم. فالبعض منا

اصبح ولازال يتعاطف ويوضح مع مطالب ومطامع اثيوبيا، وقد قام

بترجمة تعاطفه ذلك بالفعل والممارسة اليومية، سواء عبر التحرش

بالمعارضين، او استخدام العنف ضدهم. وقاد هذا الاتجاه حزب الوحدة

الذي انبثق عن جمعية حب الوطن في العام 1946، والذي ترأسه السيد

قبرمسقل ولدو، ومن ثم السيد بيني براخي الذي اتى على حساب قبر

مسقل ولدو لتعزيز المصالح الاثيوبية، يساعده في قيادة الحزب السيد

تدلا بايرو الذي كان امينا عاما للحزب، بل متنفذا فيه. وما برح هذا الاتجاه منذ ذلك الوقت وحتى الآن، وهو يدعو صراحة الى ضم ارتريا غير المشروط مع اثيوبيا، دون اي تقدير او اعتبار لمصالح ارتريا وشعبها.

وأضاف:-

- وبالمقابل وكرد فعل على ممارسات وتوجهات حزب الوحدة فقد تأسس في مدينة كرن في الثالث من ديسمبر من عام 1946، وبصورة عفوية لم يسبقها اي إعداد، حزب الرابطة الاسلامية. واصبح السيد بكري الميرغني رئيسه الفخري، والشيخ ابراهيم سلطان علي امينه العام. بالاضافة الى تأسيس حزب ارتريا المستقلة الذي تكون من الاعضاء المنشقين من حزب الوحدة وترأسه السيد ولدآب ولدماريام، واتجاهات واحزاب سياسية اخرى.

وكالعادة فقد كان احمد ملحاحا لمعرفة المزيد. ومن ناحية اخرى كان يخشى ان لا يتوجه اخيه للنوم دون ان يوفيه بالرد على العديد من التساؤلات التي كانت تدور بخلده. فأسرع ليسأل:-

- وماذا كانت مطالب هذا الاتجاه السياسي، الذي ظهر كرد فعل على حزب الوحدة وممارساته؟.

رد ادريس:-

- كان الرفض لدعاوي اثيوبيا والداعمين لها من ابرز مطالب هذا الاتجاه. بالاضافة الى المطالبة بفرض الوصاية على ارتريا لفترة زمنية محدودة، ثم منحها الاستقلال.

بدأت امارات التعجب تظهر على احمد، الذي سرعان ما قال:-

- ألم يكن هناك قاسما مشتركا يمكن كلا الاتجاهين من العمل لمصلحة

البلاد؟

رد ادريس ودون ان يظهر اي تذمر من تساؤلات اخيه:-

- لم تكن هناك عوامل مشتركة بين الطرفين ليس هذا فحسب، بل كان كل

اتجاه يحمل في احشائه بذرة الانقسام والتفتت. اذ انه وبنفس السرعة

التي تكوّن فيها هذان الاتجاهان السياسيان، سرعان ايضا ما انتشرت

داخل كل منهما عدة انقسامات. فحزب الوحدة مع اثيوبيا، والذي كان

يهدف الى صهر ارتريا ضمن التاج الامبراطوري الاثيوبي من خلال

تبنيه لدعاوي، طائفية مثل "ضرورة التأكيد على الموروث المسيحي

المشترك لارتريا واثيوبيا، او عدم قدرة ارتريا على النهوض الاقتصادي

الذاتي"، سرعان ما تعرض للعديد من الهزات ثم الانشقاقات. لتخرج منه

في المحصلة النهائية احزاب اخرى، مثل حزب ارتريا المستقلة المتحدة

مع اثيوبيا. ولم يكن وضع الرابطة الاسلامية السياسي بافضل مع

الوضع السياسي لحزب الوحدة. فقد تفرعت هي الأخرى الى عدة

اتجاهات، وذلك بفعل ورفض البعض منها الى اعطاء الحقوق لقبائل

وشعوب التجري، اللذين كانوا يعتبرونهم عبيدا، او خدما لهم في احسن

الحالات، وطغيان النزعات القبائلية، وتضارب المصالح والمنافع الآنية

بين اعضائها. مما ادى كل ذلك الى ظهور العديد من الاتجاهات

والتجمعات الصغيرة، التي سرعان ما اخذت تميز نفسها مثل الحزب

الوطني الاسلامي لمصوع الذي ترأس امانته العامة السيد عثمان آدم

بيه، والرابطة الاسلامية للمديرية الغربية التي ترأسها الشيخ علي موسى

راداي، والرابطة الاسلامية المستقلة. كما لم يكن بمقدور ما عرفت بالكتلة

الاستقلالية، وذلك كنتيجة لتركيبتها السياسية المفككة، وخلفيتها ذات

الابعاد القبلو- طائفية بصورة عامة من رسم ووضع برنامج سياسي يمكن من مواجهة متطلبات تلك المرحلة، ويضمن بالنتيجة حق شعب ارتريا في تقرير المصير في الاستقلال الوطني والتحرر الاجتماعي. واذاف ادريس وهو متحمسا في ابداء نقده لحالة الاحزاب السياسية التي تفرخت في البلاد:-

- لم يختصر الانقسام في تفرخ العديد من الاحزاب والاتجاهات السياسية خاصة من جسمي الحزبين الكبيرين الوحدة والرابطة الاسلامية، بل ظهرت احزاب اخرى دون ان تكون لها رؤية سياسية واضحة تخص ارتريا، ولا افق سياسي مستقل، مثل الحزب التقدمي الليبرالي الارتري، والحزب الوطني الارتري، والاحزاب الموالية لاطاليا مثل رابطة المحاربين القدماء، والحزب الموالي لاطاليا، والرابطة الايطالية - الارترية، والحزب الارتري الجديد الموالي لاطاليا، ورابطة المثقفين الارتريين وغيرهما.

تدخلت السيدة ملوك عبدالقادر التي كانت تتابع النقاش بين ادريس واحمد باهتمام فائق لتقول:-

- لقد استفدنا كثيرا من معرفة الاوضاع التي تمر ببلادنا. الا انني افضل ارجاء مثل هذه النقاشات لوقت آخر، اذ ان النعاس بدأ يطغى على اعيننا.

ادرك الاخوان مقاصد السيدة، واتفقا على ارجاء مناقشتها الى وقت آخر، وتوجه الكل لقضاء ليلته.

مع مرور الوقت تأزم الوضع السياسي العام في ارتريا، وازدادت حالات الاحتقان السياسي والحساسيات المفرطة بين مختلف الاطراف السياسية الارترية. وتحولت

الفوارق والمطالب السياسية الى خصومات حادة بين مختلف الزعماء، واصبح من الصعب جدا التوفيق بين المطالبين بالاستقلال والوحدة مع الامبراطورية الاثيوبية. ادى ذلك الى ان ينتهز الامبراطور هيلي سيلاسي تلك الفروقات والخصومات لتدعيم مطالبه خاصة فيما يتعلق بضرورة "حصول اثيوبيا على منفذ بحري". وقام لتحقيق ذلك بزعزعة الوضع السياسي، سواء عبر المطالبة الصريحة بضم ارتريا الى امبراطوريته، او عبر القيام ببعض العمليات الارهابية من خلال مجموعات مأجورة من قطاع الطرق المسلحين. وخلال الفترة من اكتوبر 1949م وحتى فبراير من عام 1950م قامت تلك العصابات باغتيال العديد من انصار الاستقلال في مدن اسمرأ، مصوع، دقي محاري وعدي وقرى.

وبدا القلق من جراء تلك العمليات الارهابية يسيطر على العديد من المواطنين، ومن بينهم بالطبع الاصدقاء الثلاثة ادريس، واسماعيل، وحقوص. وماعاد الناس يطمئنون على ارواحهم وممتلكاتهم من جراء تلك الممارسات. وعلى الرغم من ذلك فقد كان الاصدقاء الثلاثة لا يفترون، وكثيرا ما يلتقون في دكان ادريس وذلك لتبادل الآراء ووجهات النظر فيما يتعلق بمستقبل البلاد. ولم يكن لهم من هم سوى متابعة الاحداث التي كثيرا ما كانت تتأثر بالاحتقان السياسي الذي سيطر على البلاد في تلك الفترة.

وذات مساء سمع حقوص بان وفدا من ممثلي الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية⁽¹⁾ يزور البلاد. وعلى الفور اسرع بالتوجه الى دكان ادريس لمعرفة حقيقة الامر. وعندما وصل وجد اسماعيل وادريس وهما يتحادثان بصوت خافت. ودون ان يلقي بالتحية قال:-

- ما بكما، ما الامر لماذا تتحادثان بصوت منخفض. الا زلتما تخشيان الا يسمعكما اعوان هيلي سيلاسي وحلفائه.

(1) الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية هي بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي.

استغرب ادريس وعلى الفور قال:-

- عليك اولا القاء التحية، ومن ثم الاستفسار عن ما تريد معرفته. فنحن نتحدث كالعادة عن امور عامة، ولا نخشى ان يسمعنا اعوان هيلي سيلاسي.

ادرك حقوص بانه لم يكن مهذبا في طريقة طرحه للكلام. وعلى الفور اخذ برأس كل واحد من زملائه ليمطرهما تقبيلا وهو يقول:-

- ارجوا المعذرة فقد كنت متسرعاً ومتعجلاً، ولم اقصد الاساءة اليكما فأنتما رفيقاي ولا يمكن التقريط بكما.

قبل ادريس بالإعتذار.

لم ينتظر حقوص طويلا ، وعلى غير عادته كان متعجلاً لمعرفة حقيقة الوفود التي قدمت الى البلاد، وسرعان ما سأل:-

- لقد جئت اليكما لمعرفة حقيقة ما يقال عن وجود العديد من الافرنجة في بلادنا، ماذا يريدون منا؟.

ابتسم ادريس والتفت الى اسماعيل، ليقول:-

- كنا نتحدث عنهم قبل ان تداهمنا.

لم تكن الايجابية كافية بالنسبة لحقوص، ودون ان يدري قال:-

- لقد سمعت البارحة بان وفدا افرنجيا يزور البلاد، الا انني لم اعرف

ماهو القصد من مجيئه الينا؟ هل يريد التحدث الينا، وعن اي الامور؟

أم يريد فقط التفرج على وجوهنا ومعرفة ماذا نأكل وماذا نلبس؟.

لاحظ اسماعيل مدى تلهف حقوص للحصول على الايجابية. فهو يعرف بان

حقوص لا يمكن ان يهدئ له بال حتى يتحصل على مايريده خاصة اذا كان ذلك

يتعلق باوضاع البلاد السياسية، وبدون اي مقدمة قال:-

- نعم يوجد وفد من الفرنجة، وحسب علمي فانه يريد معرفة وجهات نظرنا حول مستقبل بلادنا. وبالتأكيد من اجل التجسس علينا.

رد حقوص وبصورة تتم عن الغضب:-

- باي حق يأتون الينا، فنحن لم نطلب مجيئهم لمعرفة رغباتنا.

وأردف :-

- ومن هو الذي قدم لهم الدعوة؟.

تأكد ادريس بان من المهم ان تكون الصورة واضحة لحقوص فيما يتعلق بتلك اللجنة. وبعد ان اخذ رشفة من زمزية مائه كالعادة إنبرى ليقول:-

- في الـ 20 من اكتوبر من عام 1947م شكلت الدول المنتصرة في

الحرب العالمية الثانية لجان متعددة لمعرفة رغبات السكان السياسية التي

كانت تخضع للإستعمار الايطالي. وهكذا اصبح من نصيبنا ان تأتي

الينا اللجنة التي نتحدث عنها.

واضاف ادريس بعد ان لاحظ اهتمام حقوص بالامر:-

- من العيب ان يأتي الينا من لا يعرفنا حق المعرفة. والحقيقة فنحن لسنا

بالقصر لتأتي الينا لجنة تستطلع آراءنا ورغباتنا، وما نريد. فنحن شعب

قادر على تحديد ماذا يريد وماذا لايريد. والعيب ليس فينا او في اللجنة

التي نتحدث حولها، بل هو في زعماءنا الذين لم يستطيعوا حتى هذه

اللحظة من الاتفاق على موقف سياسي موحد، يحفظ بلادنا من شرور

التمزق والانقسام.

تحمس اسماعيل ليضيف على مقاله ادريس:-

- ان مصيرنا بدأ منذ الآن يرتبط بدول لا يمكن ان تراعي مصالحنا، بقدر

ما تريد ان تحقق مصالحها، خاصة وان بلادنا تتمتع بخيرات كثيرة يمكن

ان تكون عرضة لتلاعب تلك الدول. لقد عانينا من الطليان، ولازلنا نعاني من سياسات الانجليز الذين لا يكونون لنا ادنى احترام و.....
ودون ان يكمل حديثه قاطعه حقوق ليقول:-

- الا يمكننا ان نرفض مقابلة أولئك القوم الذين لا يعرفوننا؟.

تناول ادريس الحديث ليقول:-

- لا اعتقد باننا يمكن ان نرفض مقابلة اللجنة، فهي مكونة من دول انتصرت على ايطاليا، التي تنازلت بدورها عن مستعمراتها. ليس هذا فحسب بل ان بلادنا اصبحت وبصورة مؤكدة احدى البلدان التابعة لدول هذه اللجنة. وبهذا يصبح مصيرنا بين ايديهم ليفعلوا ويقرروا ما يريدونه بنا.

لم يرتاح حقوق لما قاله ادريس، اذ سرعان ما قال:-

- وبأي حق نكون تحت إمرة أولئك القوم. اين العدالة، اين حقوق شعوب البلدان المستعمرة، التي كثيرا ماكان يتحدث عنها الانجليز؟.

ضحك ادريس، الا انه سرعان ما ادرك بان حقوق يمكن ان يفسر ضحكته بصورة مغلوطة، فأسرع في تعديل جلسته ليقول بصورة تتم عن الجدية:-

- نحن لا حق لنا سواء في الاعتراض او في اي شئ آخر. فالحق اضاعه منا زعماءنا.

لم يتمالك اسماعيل اعصابه وهو يقول:-

- نحن لا زعماء لنا، وان من نصفهم بزعماءنا لا يعدون كونهم حفنة من المصلحين الذين لا يراعون مصلحة البلاد والعباد. وبالتالي لا يمكن ان يكونوا ممثلين لنا. وعلينا ان لا نصفهم منذ الآن بالزعماء، بل علينا ان نطلق عليهم الصفات التي تتماشى مع جشعهم وأنانيتهم.

واضاف:-

- اعتقد بان من حقنا العمل باتجاه افهام شعبنا بان من نصفهم بالزعماء ليسوا سوى مجموعة من الاشخاص لا ترتبط مصالحتهم بمصالحنا. وعلينا تعريفهم امام أولئك الفرنجة. وهذه فرصة طيبة للعمل ضدهم.

ساد الصمت المكان، وفجأة طرح حقوص السؤال التالي:-

- ما العمل؟ ماذا يجب ان نفعل؟

وساد الصمت مرة اخرى، وأحس الكل بان الارهاق بدأ ينال منهم. واتفق الاصدقاء الثلاث الانصراف كل الي بيته، على امل اللقاء فيما بعد لمتابعة النقاش.

(2)

كالعادة افاقت فاطمة من نومها في منتصف الليل لارضاع ابنها منصور. وفجأة لاحظت بان ادريس لم ينم بعد. وللحظة انتابتها الهواجس. ماذا حدث لادريس اثناء العمل هل اصابه مكروه؟ هل تشاجر مع بعض المؤيدين لاثيوبيا من حزب الوحدة، او الرابطة الاسلامية المحلية لمدينة مصوع؟ او او ... الا انها لم تستقر على شىء. فقررت التحدث اليه والاستفسار منه قائلة:-

- مابك؟ ما الامر هل هناك شىء يزعجك؟

رد عليها:-

- لاشىء يافاطمة.

لم تطمئن فاطمة، واعتقدت بان ادريس ربما انزعج من بكاء منصور بينما هي مستغرقة في النوم، فقالت وهي في تردد من امرها:-

- هل ازعجك منصور، يمكنني ان ارسله للسيدة بعد ان افرغ من

ارضاعه؟.

اكتفى ادريس بالرد:-

- لم يزعجني منصور يافاطمة فقد تألفت مع بكائه وصراخه. وان من غير

الواجب ارساله الى جدته، فهي مستغرقة الآن في نوم عميق.

ردت فاطمة بنوع من الحدة:-

- اذا لماذا لا تنام؟

سؤال صعب لم يستطع ادريس تجاوزه، فقرر ان يفتحها بما يقلقه:-

- لقد اتى الي بلادنا مجموعة من الفرنجة، وهم يريدون معرفة رغباتنا

السياسية بشأن مستقبل بلادنا.

كانت فاطمة يائسة من الاحتقان السياسي في البلاد، ومن الصراعات العديدة التي

كانت تتشب بين مختلف الاحزاب والشخصيات، التي لم تجد لها اي معنى او

تفسير. وعندما سمعت ماقاله زوجها، تغيرت امارات القلق التي كانت بادية عليها، وبدأ الاضطراب الذي اعترها يتراجع بصورة تدريجية، حتى قالت:-

- خير انشاء الله، هذا شئ مفرح. ربما يتمكن هؤلاء الافرنجة من ازالة ما نحس به من كابوس زعماءنا، ويساعدوننا على التخلص منهم؟.

انتفض ادريس من مرقدده ليقول:-

- ماذا تقولين، ايمكن لهؤلاء مساعدتنا. اذا كان ما تقولينه صحيحا لساعدنا قبل الآن الانجليز.

ردت فاطمة:-

- ماذا فعل الانجليز؟ انهم لم يفعلوا ما أضر بنا. ان مشكلتنا حسب فهمي لم تكن مع الانجليز، ان لم تكن مع مانعبرهم كبارنا وزعماءنا.

واردفت:-

- ان زعماءنا هم السبب فيما نحن فيه. الم يقوموا بتمزيقنا حتى اصبحنا لا نطبق بعضنا البعض. الم ينشروا بيننا النعرات القبلية حتى اعتقدت كل قبيلة من قبائلنا، بانها هي الالهة، وهي الاكبر، وعلى الكل الانصياع لها. فهل كل الذي نراه في واقعنا هو من صنع الانجليز فقط؟.

إنحبت الكلمات في حلق ادريس. فهو من جانب يشاطر زوجته بان دور زعماء البلاد لم يكن بالصورة المشرفة. وان ما يحس به من مرارة، وعدم اطمئنان هو وزملائه لم يكن إلا بفعل تناطح وتصارع زعماء السياسة من رجال القبائل والعشائر. ومع ذلك فانه لم يكن يهضم كيفية ان يقوم الاجانب بانقاذهم مما هم عليه، فالتفت الى زوجته ليقول:-

- ان الفرنجة لا يمكن ان يحلوا مشاكلنا، ولا يمكن ان يقدموا لنا يد المساعدة حتى نتخلص من الحالة التي نعيشها. كل الذي سوف يقومون به سيرتبط بمصالحهم.

لم تتمكن فاطمة من ادراك ما يقوله زوجها. وسرعان ما استفسرت:-

- انني لا افهم مقصدك ماذا تريد ان تقول؟ وما هو الذي سوف يقوم به

الافرنجة؟ وماهي مصلحتهم؟.

استغرب ادريس فهو لم يكن يتوقع ان تكون فاطمة محاوره بمثل هذه الصورة. فهو

ان لم يكن نادرا، فانه لم يسمعها تتحدث بطلاقة في قضايا سياسية. ومع ذلك رأى

بان من المهم تبسيط الامور، وماذا يعني من كلامه:-

- يافاطمة الفرنجة هم الفرنجة. ولا شئ يمكن ان يصدهم اذا ارادوا فعل

ما يريدون. فهم وفي المقام الاول تهمهم مصلحتهم. وان من أتوا الينا لا

يمكن ان يكونوا افضل من الانجليز. انني اعتقد بانهم سوف لن

يساعدوننا في ان يكون لنا بلدا مثلنا مثل الشعوب والبلدان الاخرى و...

قاطعته فاطمة:-

- انا لم اعاصر الطليان ولا حتى انت. الا اننا كنا نسمع الكثير عنهم عن

طريق آباءنا واجدادنا. انني اتذكر ماذا كان يحكي لي جدي. ففي احدى

حكاويه قال لي "كنا نخشى الطليان، وكنا نعتقد بانهم سوف يرسلوننا الى

بلدانهم لنكون عبيدا وفي احسن الحالات خدما لنسائهم واطفالهم. الا ان

ذلك لم يحدث، اذ وما ان رست سفنهم على شواطئنا حتى انفتحت لنا

الخيرات، وازاحوا عنا كابوس المجاعة التي كانت تسحق وجودنا حتى

الموت. وبدأنا نأكل الرغيف الابيض، ونرتدي جلابيب الدمور، ونستحم

بالصابون، ونتعطر بالصندل، ونتحصل من خلال العمل على كسب

قوتنا. وكنا آمنين ومستقرين ولا نحس بخوف من عدو بعيد او قريب".

هذا ما قاله لي جدي.

واضافت:-

- ها نحن الآن نعود الى الحالة التي كان يعيشها اجدادنا، فإنعدام العمل اصبح يؤدي بنا الى حافة المجاعة. وانتشار قطاع الطرق من الشفتا ومؤيدي اثيوبيا، اصبح يشكل لنا هاجسا امنيا. واصبحنا نخشى المستقبل. ومن هنا فانني اقول بان مجيئ الافرنجة كما اعلمتني سوف يكون فال خيرا علينا. وربما يحدث لنا ماحدث لاجدادنا عند قدوم الطليان. وربما يكون مجيئهم فاتحة امل في ان نعيش مكرمين معززين في بلدنا.

ازداد استغراب ادريس وهو يستمع الى زوجته بجدية. وما ان انتهت من حديثها حتى قال:-

- لا شك بان مجيئ الطليان ساعد آباءنا واجدادنا في بناء بلد نفتخر به. لكن علينا ان لا ننسى يافاطمة، فالطليان لم يقوموا بكل ما قاموا به من تشييد للمدن، والطرق، والموانئ والمصانع إلا من اجل ان يستفيدوا هم اولاً واخيراً، ويتركوا لاجدادنا وآبائنا فتاتهم.

واضاف:-

- الاوضاع في الوقت الراهن تختلف عن الاوضاع التي كان يعيشها آباءنا واجدادنا. اننا يافاطمة امام مفترق طرق. فإما ان يكون لنا بلدا مثلنا مثل الآخرين، او نظل اسرى لصراعاتنا. ونكون اضحوكة امام العالم. انني اخشى ان لا ينتصر علينا اعوان الامبراطور هيلي سيلاسي، ويضيعوا علينا فرحة ان يكون لنا بلدا ندير شؤونه.

احست فاطمة بضرورة التوقف عند هذا الحد وسرعان ما اقترحت:-

- لا تهتم كثيرا، وما يخبئه الليل سوف ينجلي بالنهار كما يقول اهلنا. وعلينا الآن اخذ قسطا من الراحة.

احس ادريس بارتياح من كلام زوجته ووافقها على اقتراحها. ليقوم على الفور بإحتضانها والاستغراق في نوم عميق صحى منه كالعادة وهو منشرجا في السادسة صباحا.

في اليوم الثاني افتتح ادريس دكانه في السادسة والنصف صباحا. ولم يعرج عليه اي شخص لشراء بعضا من محتويات دكانه حتى منتصف النهار. وقد فسر ذلك للركود الذي بدأ يضرب الاقتصاد المحلي، وذلك نتيجة لحالة الاضطراب السياسي الذي ساد عموم البلاد. وعلى الرغم من ذلك لم يكن ادريس منزعجا، فهو وبطبيعة الحال كان يؤمن بان "الارزاق بيد الله". الا انه كان شديد الانزعاج مثله مثل العديد من المواطنين، من حالة الانفلتات الامني، وممارسات قطاع الطرق.

توجه حقوص واسماعيل كل على حدى، وعلى غير موعد مسبق الى دكان ادريس. وما ان شاهداهم ادريس حتى اقترح عليهم تناول طعام الغداء معه، ومن ثم يواصلون نقاشاتهم التي اجلوها يوم امس. وما ان قبل اقتراحه، حتى هب واقفا، وتوجه مباشرة الى مطعم العم "الجحدرى"، وهو مواطن ارتري من اصل يمني، ولد في مدينة مصوع، ويملك فيها مطعما يقوم بتقديم وجبات الطعام اليمينية المألوفة في العادة، من المخبازة وهي عبارة عن رغيف محلي يخبز في التندور، يقطع ويعجن بالموز او التمر. او من الرطيب وهو عبارة عن خبز شفاف حمّر حتى الاستواء في التندور، يرش فوقه كمية لا بأس منها من السمن البلدي الحبابي، مع قليل من عسل النحل الذي يجلبه الفلاحون من مدينة صنعفي وضواحيها. او قطعة لحمة الخروف المسلوقة المتبلّة باصناف من البهارات اليمينية، والمعروفة باسم "البرمة" والتي تقدم مع قليل من المرق. اوسمك العربي او الديراك المشوي في التندور. اوبعض من انواع الخبز اليمني مثل الملح، وحصن الشتتي الذي يعتقد بانه يفتح شهية الانسان.

طلب ادريس من العم "الجدري" ان يجهر له طعاما مشكلا من محتويات لائحة طعامه اليومي يكفي لثلاث اشخاص. وخلال فترة قصيرة حمل معه الطعام، وتوجه الي دكانه حيث كان بانتظاره حقوص واسماعيل.

لاحظ حقوص وهم يتناولون طعام الغداء، بان ادريس قلق نوعا ما، وقرر ان يستفسر عن اسباب ذلك القلق. وما ان انتهوا من تناول الطعام، حتى التفت حقوص نحو ادريس قائلا:-

- مابك انني الاحظ القلق باديا عليك؟

رد عليه ادريس:-

- ولماذا لا نقلق فأنت ترى ما وصلت اليه اوضاعنا.

تدخل اسماعيل ليقول:-

- خير انشاء الله ماذا حدث ؟ ولماذا القلق؟

تتحنح ادريس وعلى الفور قال:-

- ان ما نواجهه من انتشار لاعمال اللصوصية، والارهاب الواسع من قبل قطاع الطرق الشفتا، اصبح يشكل تهديدا حقيقيا على ارواح وممتلكات الناس. ان مثل هذه الاعمال الاجرامية ماعدت مختصرة على المواطنين، بل بدأت تستهدف ايضا ارواح وممتلكات الاجانب من ايطاليين وانجليز، وغيرهم من الهنود والعرب. مما يزيد ذلك في تأجيج الصراعات الدينية، وغارات الثأر المتبادلة. واصبح كل هذا يقلقني.

تحمس حقوص ليقول:-

- حقا لقد ازدادت عمليات النهب المسلح، وتهديد الناس بمن فيهم الاجانب. وان ايقاف مثل هذه الاعمال الارهابية هي من صميم اختصاص الادارة البريطانية.

قاطعته اسماعيل بحدة:-

- ان الادارة البريطانية تعلم تماما بتلك الاعمال الاجرامية. واعتقد جازما بانها تتم عبر ابحاثها، والا لما تجاهلتها. فهي لا تعمل بل لا تريد ايقاف تلك الاعمال، والدليل على ذلك قدرة هذه العصابات على القيام باعمالها الاجرامية في وضح النهار.

رأى ادريس بان من الضرورة التطرق لهذه المسألة بصورة جادة، وسرعان ما قال:-

- اعتقد باننا نواجه مؤامرة كبرى تشترك فيها اربع اطراف.

واضاف للمزيد من الايضاح:-

- الطرف الاول او المستفيد الاول من تلك العمليات هو الامبراطور هيلي سيلاسي الذي يهيمه زعزعة الوضع السياسي في بلادنا، وذلك بهدف اضعافنا والسيطرة علينا في النهاية. والمستفيد او الطرف الثاني هي الادارة البريطانية التي تتعاطف وبصورة واضحة مع مطالب هيلي سيلاسي في الحصول على منفذ بحري على حساب بلادنا. والطرف الثالث هم زعمائنا الذين يرون بان مصلحتهم لا يمكن ان تتحقق الا عبر الترابط بمصلحة الاثيوبيين والبريطانيين. اما المستفيد الرابع والاخير فهم، عصابات الشفتا اللذين يملؤون جيوبهم من عمليات السرقة والنهب.

ارتاح الصديقان واثى كل واحد منهم على ماسمعه من تفسير لظاهرة الاعمال الارهابية. واراد اسماعيل التعقيب على ما قيل، الا ان ادريس لم يمهل اذ سرعان ما اضاف:-

- لقد تحدثنا في لقاءنا السابق عن اللجنة الرباعية المشكلة من الدول الاربع المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، التي تزور بلادنا في الوقت الحاضر. والمطلوب منا الآن توعية اهلنا وحثهم للقاء باللجنة بهدف ان يشرحوا لها طبيعة الاوضاع التي تمر ببلادنا، وطرح مطالبنا العادلة الممثلة في ان يكون لنا بلدا مستقلا، وتقديم طلب حمايتنا من ممارسات

قطاع الطرق المدعومة من قبل اثيوبيا، وعدم الاصغاء لما يقوله زعماءنا فهم لا يمثلوننا. وفوق كل ذلك علينا متابعة وتقصي اعمال هذه اللجنة. اتضحت الصورة تماما امام الاصدقاء الثلاثة، فهم وعلى الرغم من محدودية امكاناتهم الثقافية، ومعرفتهم بقضايا السياسة، الا انهم كانوا واعين اكثر من زعماءهم بقضية شعبهم العادلة، ومدركين لخطورة حالة الانقسام الذي فرضته صراعات الاحزاب وزعماء الطوائف الدينية والقبلية.

وبناء على ذلك اتفق الاصدقاء الثلاثة على ان بلادهم تمر بمنعطف هام وحيوي، وان الواجب الوطني يحتم عليهم العمل باتجاه تحقيق تأسيس وطن لكل اهل البلاد. واستنادا على ذلك وما ان انهي ادريس كلامه حول كيفية العمل، طلب حقوق الاذن بالكلام، ليقول:-

- اعتقد باننا متفقون حول ما قاله ادريس، والمطلوب منا الآن وضع خطة للشروع بالعمل.

واقترح على زميليه:-

- لقد علمت يوم امس بان اللجنة الرباعية تقوم باللقاء بالعديد من الاشخاص. فحبذا لو تمكنا من اللقاء باللجنة، واذا تعذر علينا هذا السعي لجمع المعلومات حول نشاطات اللجنة وذلك بهدف تطوير موقفنا تجاه الاحداث الجارية.

لم يعترض احد على اقتراح حقوق، بل على العكس من ذلك فقد حذى بالتأييد والموافقة. وهنا اخذ ادريس الفرصة ليقول:-

- حسنا لا اعتراض لي حول ما طرح، بل انني اود ان اضيف عليه. وازفاتي تتمثل في ان نقوم بمعرفة آراء اللجنة، ومواقفها حتى نتمكن من مواجهة اي خلل يؤدي الى مصادرة حق شعبنا.

واضاف:-

- ان ما اقله لا يمكن ان يتم ونحن قابعون في اماكننا. لذلك علينا توزيع
انفسنا على ثلاث مراكز اساسية في ارتريا. المركز الاول وهو اسمرا،
وفي هذه الحالة افضل ان يتوجه اليه حقوص، والمركز الثاني وهو مدينة
كرن ويمكنني ان اتوجه اليه اذا لم يكن لكم اعتراض، والمركز الثالث
وهو مدينة مصوع ويبقى فيها اسماعيل.

واضاف:-

- ان مهمتنا سوف تختصر على جمع المعلومات، وهذا سوف يمكننا من
معرفة اتجاه التطورات كما قلت. وعلينا ان نكون دقيقين في جمعنا
للمعلومات، وان نبتعد عن المبالغات والاشاعات، والقييل والقال.
اتفق الاصدقاء الثلاثة على خطة العمل التي قدمها ادريس وتوجه كل منهما الى
المركز المحدد له.

(3)

باشرت اللجنة الرباعية اعمالها في ارتريا في 12 نوفمبر 1947م، وخلال شهر ونصف تمكنت من عقد العديد من اللقاءات بمختلف ممثلي الاحزاب السياسية والجاليات الاجنبية خاصة الايطالية، بالاضافة لذلك فقد اجرت سلسلة من الاجتماعات بالادارة البريطانية، لتقوم بعد ذلك بإعداد تقريرها وتغادر ارتريا في 3 يناير 1948م.

عاد ادريس وحقوص بعد ان تحصلوا على معلومات قيمة عن نشاطات اللجنة، ولقاءاتها وآراء مختلف اعضاءها، وذلك بعد غياب دام نحو اسبوع، كل الى مكان اقامته في مصوع لينتظرهم فيها اسماعيل. وقد كان الثلاث في شوق للقاء، وافراغ ما يملكانه من معلومات. وما ان التقوا كالعادة في دكان ادريس في السوق العربي بمدينة مصوع، حتى احتضنوا بعضهم البعض، وهنئو انفسهم بسلامة العودة. وبعد تبادل التحايا والاستفسار عن الاهل والاحباب، اقترح ادريس:-

- علينا عدم اضاءة الوقت. وحبذا لو جلسنا لنناقش نتائج ما ذهبنا له.

بعد ان حصل ادريس على موافقة زميليه اضاف:-

- من الضرورة ان تعطى لكل واحد منا الفرصة الكافية في الحديث حتى يتمكن من بلورة وتوضيح ما يملكه من معلومات. فأستهل حقوص الحديث:-

- توجهت حسب الاتفاق الى اسمرا وامضيت فيها اسبوعا كاملا. وخلال

تلك المدة التقيت بالعديد من معارفي وأقربائي، الا انهم لم يفيدوني

بشيء، باستثناء واحد منهم وهو العم باشاي حدقو. وهو شخص نشط

غير ملتزم باي حزب سياسي، له علاقات واسعة بالعديد من الشخصيات

والزعماء السياسيين. وقد استفسرت منه عن اللقاءات التي اجرتها اللجنة

الرباعية. فأكد لي بان "اللجنة وما ان وصلت الى اسمرا في 12 نوفمبر

1947م، حتى قامت بتوزيع بيان على الصحف المحلية، تؤكد فيه رغبتها في اللقاء بجميع الاحزاب السياسية والشخصيات المحلية، وذلك لسماع وجهات نظرهم بشأن الازواض السياسية والاقتصادية في البلاد، ومستقبلها السياسي.

واضاف:-

- كما ان العم باشاي حدقو ابلغني بان اللجنة الرباعية "استمعت في اسمرالى الى وجهات نظر العديد من الاهالي، وطرحت عليهم بعض الاسئلة مثل شكل الحكم الذي يريدونه، والمساعدة التي يحتاجونها إلخ...". وعندما سألته عن مطالب أولئك الذين التقوا باللجنة، اجابني بالقول "بانه مستاء جدا من الطريقة التي تعاملت بها اللجنة فيما يتعلق بالتحقيق. فهي لم تكن تهتم بغير مايقوله ويردده المجتمعون بها، دون ان تتأكد من صحة ادعاءاتهم". واطاف بصورة حازمة "لذلك فقد كانت النتيجة واضحة مسبقا فيما يتعلق بالمطالب. اذ ان معظم الذين التقت بهم اللجنة كانوا من مؤيدي حزب الوحدة، وبالتالي أو من الطبيعي ان تتمثل مطالبهم في الوحدة الغير مشروطة مع اثيوبيا. مع وجود اناس آخرون عبروا عن تأييدهم لبرنامج الرابطة الاسلامية التي ترفض الوحدة الغير مشروطة، وتطالب بالوصاية البريطانية."

اتى دور ادريس في الكلام ليقول:-

- عقدت اللجنة الرباعية حوالي اربعة اجتماعات منفصلة لممثلي المنطقة الغربية. الا انها لم تلتقي بممثلي العديد من المدن مثل كرن واغوردات. وقد كانت معظم المطالب التي رفعها من اعتبروا ممثلين للشعب في تلك المنطقة، هي نفس المطالب التي ترفعها الرابطة الاسلامية، والتي تتمثل في الرغبة في وصاية بريطانية على ارتريا لمدة من السنوات تنال بعدها

استقلالها. واعرب البعض خاصة من، زعماء القبائل عن رغبتهم في الوحدة مع اثيوبيا، وذلك نكاية بالرابطة الاسلامية التي اتهموها بانها تحرض الشعب ضدهم للتحرر من سيطرتهم الاقطاعية.
بعد ذلك تحدث اسماعيل:-

- انتخب الناس في مصوع وضواحيها ممثلين لهم وفقا لعاداتهم القبلية. وقد اجرت اللجنة الرباعية ثلاثة اجتماعات للعديد من أولئك الممثلين الذين ابدوا رغباتهم حسب ميولاتهم واعتقاداتهم الدينية والقبلية. فإذا كان الكثيرون منهم قد اعربوا عن تمسكهم بطرح الرابطة الاسلامية الرفض للوحدة مع اثيوبيا، وطلب الوصاية البريطانية، فان مجموعات لا بأس بها عبرت عن رغبتها في التأييد لعودة الحكم الايطالي، والبعض اختاروا ان تتحدد بلادهم مع اثيوبيا.

اتفق الاصدقاء الثلاثة بعد المداولات والنقاشات التي اجروها، بان من اعتبروا ممثلين للشعب الارتري لم ولن يتمكنوا من عكس رغبات الشعب الارتري في تكوين وطن خاص بابناء ارتريا. لانهم لم يكونوا في الواقع سوى اشخاص تهمهم مصالحهم الخاصة.

كما اتفقوا بان أولئك الاشخاص حاولوا الاستفادة من الانقسام الطائفي والقبلي الذي صنعوه هم بانفسهم، ليظهروا للجنة الرباعية وكأن هناك انقسام حقيقي مبني على اسس طائفية وقبلية، وليتولد الاحساس وكأن هناك من يرغب بالوحدة الغير مشروطة مع اثيوبيا، وآخرون لا يريدون الوحدة بل يريدون الوصاية، وكل ذلك تحت تبريرات طائفية مسيحية اسلامية.

لم يمر اكثر من شهرين حتى سمع الناس بان اللجنة الرباعية قد غادرت البلاد لترفع تقريرها الى مجلس وزراء خارجية الدول الاربع الكبار. وبعد فترة ليست

بالقصيرة بدأت المعلومات تتسرب الى البلاد فيما يتعلق بطبيعة التقرير الذي اعدته اللجنة الرباعية.

وللبحث في ذلك استدعى ادريس رفيقيه للتحدث حول آخر الاخبار وتبادل وجهات النظر حيال ما سرب من تقرير اللجنة الرباعية. وما ان التئم شمل الاصدقاء الثلاث حتى بادر ادريس قائلاً:-

- لقد تسربت بعض المعلومات عن محتوى تقرير اللجنة الرباعية، وهناك احاديث تجري حول نشوب خلاف حاد في اللجنة الرباعية بين الجانب الامريكى والبريطاني من جهة، والسوفيتي والفرنسي من جهة اخرى. فالامريكان ومعهم البريطانيون اخذوا يميلون الى وجهة النظر التي طرحها مؤيدو حزب الوحدة المنادين بالوحدة مع اثيوبيا، بينما تحفظ على ذلك كل من الجانب السوفيتي والفرنسي.

واضاف:-

- ان الاختلاف بين اطراف اللجنة لم يكن الا نتيجة لاختلاف المصالح. فالمعروف وهذا ما كنا نلاحظه، فان الانجليز مارسوا كل انواع التضليل، وتجاهلوا كل الممارسات الاجرامية التي تقوم بها مجموعات الشفقا ضد المواطنين. وكل ذلك من اجل مساعدة اثيوبيا للحصول على منفذ بحري. والجديد في الامر ان الامريكان لحقوا بالانجليز في تأييد اثيوبيا. كما ان من المنطقي ان يتعارض الموقف السوفيتي والفرنسي نوعا ما مع موقفي بريطانيا وامريكا، وذلك نتيجة للصراع القائم بينهما منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

لم يشأ اسماعيل ان يكون مستمعا فقط فأراد الحديث ليقول:-

- من الطبيعي جدا ان تؤيد بريطانيا ومعها امريكا اطروحات اثيوبيا. فهما يعتبران اثيوبيا حليفتهما الاساسية. واعتقد بان كلاهما قد تأثرا بما قاله

الامبراطور هيلي سيلاسي في 20 يوليو 1944م عندما وجه خطابا بمناسبة احد اعياد ميلاده والذي جاء فيه "ان تحرر اثيوبيا سوف لا يكون كاملا الا بالحصول على منفذ بحري. وان الخالق قد خلق اثيوبيا ذات منفذين بحريين في الشمال. وان اي مساس بهذا الحق يعني المساس بالقدرة الإلهية."

صفق ادريس وحقوص، واثنيا على ملاحظته الرائعة التي تظهر بوضوح مدى مطامع اثيوبيا في الحصول على موقع قدم لها في البحر الاحمر.

تسارعت الاحداث بشكل غير اعتيادي. وما ان حل شهر اكتوبر عام 1948م حتى علم الاصدقاء الثلاثة بان اللجنة الرباعية عرضت تقريرها على اجتماع مجلس وزراء الدول الاربع المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. وان تباينا حدث بين وجهات النظر بين الاعضاء بصورة حادة. وقد اهتم الناس بما تناقلته الالسن حول تلك الخلافات.

في اليوم الثاني رغب ادريس، كما يفعل في بعض الاحيان، بتناول طعام غداءه في احد مطاعم المدينة. فتوجه الى مطعمه المفضل، وهو مطعم العم "الجحدري". وبينما كان غارقا في تناول طعامه، لاحظ فجأة شخصان يتبادلان الحديث حول مستجدات اجتماع وزراء خارجية الدول الاربع المنتصرة. وبعد ان دقق فيهما تأكد له بانه يعرفهما. فأحدهما يدعى محاري والآخر عبدالله، وهما يعملان في مركز بلدية مدينة مصوع، ويلتقيان بحكم عملهما بالعديد من الشخصيات الهامة. وخنم بأنهما يملكان معلومات مؤكدة حول آخر التطورات. فسلم عليهما وإستئذنهما للجلوس معهما ومشاطرتهما حديثهما السياسي. وما ان وافقوا، حتى انتهز ذلك ليقول:-

- لقد سمعتما تتبادلان الأخبار حول انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى. الى اين وصل فيه القوم؟.

ارتاح كل من عبدالله ومحاري لانضمام ادريس اليهما. فهما يعرفانه حق المعرفة. مواطن معروف لدى العامة والخاصة، وله مواقف واضحة تجاه المسألة الوطنية. ويصارع مؤيدي اثيوبيا ويفحهم بأطروحاته وآراءه الجريئة. وعلى الفور تكلم محاري قائلاً:-

- لنا الشرف باللقاء بك، والتحدث اليك حول امور سياسية تعنى بلدنا. فنحن وان لم نلتقي بك، فاننا كنا نسمع عنك. اعتقد باننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل، لكن لم نجد الفرصة للتعرف اكثر ببعضنا البعض. انك لا تحتاج مني ان اعرفك بانفسنا، الا انني اود ان اقول، بأنني وزميلي نعمل في قسم ارشيف بلدية مصوع و

قاطعته عبدالله بعد ان فطن بان صاحبه يريد الاطالة في الحديث، قائلاً:-

- نعم لقد عقد اجتماع لوزراء خارجية الدول الاربع الكبار، واعتقد بانه تم في الاسبوع الاول من شهر سبتمبر 1948م.

لم يفاجأ ادريس بالاجابة، فقد سبق وان علم بعقد الاجتماع. وكان يريد معرفة طبيعة وحقيقة ما يقال عن الخلاف الذي شب بين الوزراء. ودون ان يضيع الوقت قال:-

- يقال بان خلافا قد دب في الاجتماع. واعتقد بأنكما مؤهلان لشرح ذلك، باعتبار انكما تعملان في مقر البلدية، وتلتقيان كثيرا بالعديد من العارفين ببواطن الامور.

ضحك محاري وعبدالله، اذ انهما ادركا بان الرجل يغمز لهما لأنهما يتبؤان مركز هام في بلدية مصوع. وعلى الفور تحدث محاري:-

- نعم لقد حدث تباين بين وزراء الخارجية، فقد اقترح الوفد البريطاني وضع ارتريا تحت الادارة الاثيوبية لفترة زمنية محددة قد تصل الى عشرة اعوام. اما الوفد الامريكي فقد اقترح ضم جنوب ارتريا الى اثيوبيا فوراً، على ان

يتم مناقشة الاجزاء الاخرى المتبقية منها بعد عام واحد. اما الوفد الفرنسي فانه ايد الاقتراح الامريكي بالاضافة الى اعطاء الحق لاطاليا في الوصاية على الاجزاء الاخرى من ارتريا. اما الوفد السوفيتي فانه اقترح وضع ارتريا تحت الوصاية الايطالية، واذا تعذر ذلك وضع كل المستعمرات الايطالية السابقة ⁽¹⁾ تحت وصاية الامم المتحدة.

اضاف عبدالله على كلام محاري:-

- ان مصيرنا اصبح العوبة بيد الدول الاربعة الكبار. فكلهم لا يريدون لنا وطننا مستقلا. بل يسعون الى تمزيق وحدة تراب بلدنا كما يقسم الرغيف.

اراد ادريس ان يعرف النتيجة:-

- ماهي اذا الخلاصة التي خرج بها الاجتماع.

رد عليه عبدالله :-

- الخلاصة واضحة تماما. فقد سبق وان اتفق الوزراء بان يحيلوا ملف ارتريا في حالة عدم اتفاهم الى الامم المتحدة. لذلك اقروا احالة موضوعنا اليها، اي الى الامم المتحدة.

ما ان انهى عبدالله كلامه حتى لاحظ ادريس بان الساعة قد تجاوزت الثانية والرابع، وان العم "الجحدي" يستعد لقفل باب مطعمه. وادرك بان ساعة المغادرة قد حانت، وعلى المطعم حسب القوانين المرعية ان يوصد ابوابه في الثانية ظهرا دون تأخير او تقديم وإلا تعرض لغرامة مالية من قبل ادارة المدينة. وعلى الفور حيا محدثه، واستعجل كما يفعل عادة مواطني مصوع الى صاحب المطعم لدفع فاتورة الغداء.

ما ان انتشر خبر تقرير اللجنة الرباعية في ديسمبر 1948م، حتى انتشرت اعمال السلب والنهب وقطع الطريق، واشعال الحرائق من قبل قطاع الطرق المدعومين

⁽¹⁾ المستعمرات الايطالية السابقة هي ليبيا، ارتريا والصومال.

من قبل الحكومة الاثيوبية. واصبح كل من يعارض سياسة حزب الوحدة هدفا للإبتزاز او التصفية الجسدية.

امام هذا الواقع وخوفا من قطاع الطرق، بدأ الناس في كل المدن الارترية يتوجهون مبكرا الى منازلهم، ومن بينهم بالطبع ادريس محمد صالح. وقد لاحظت فاطمة بان زوجها مهموم للغاية. فهو لم يعد مرحا كعادته، واصبح يقلل من حديثه، ويسعى للإنزواء وهو يغرق كثيرا في تفكير عميق لا يفوق منه حتى ياتي اليه منصور حابيا.

وذات مساء تجرأة لتسأل:-

- مابك اراك مهموما؟

رد عليها:-

- انك تشاهدين الحالة التي نعيشها. لقد توقفت الاعمال، ولم نعد نجتمع ما يكفي قوتنا إلا بشدة الانفس. واصبح الخوف من المجهول الهاجس الذي يشغل بال الناس.

قاطعته:-

- لقد تحدثنا مرارا وتكرارا عن الوضع الذي يسود بلادنا. فلماذا نكون نحن المهتمون اكثر بما يجري. انحن فقط من كتب عليهم الهم في شئ لم نفعله، ولم نكن السبب فيه؟. ماذا نجني من اهتمامنا الزائد بمسائل تخص كل الناس؟.

واضافت:-

- كيف يضيع منك وانت رجل مؤمن بان الاعمال والارزاق هي بيد الله، يعطيها لمن يريد، ويأخذها ممن لا يريد؟. بالنسبة للخوف الذي نتحدث عنه، فانه لا يمكن ان يزول إلا بزوال مسبباته. والى حين ذلك علينا بالصبر والاحتراز، وعدم مجالسة ذوي النيات السيئة.

تدخل ادريس:-

- ان مؤيدي حزب الوحدة يقومون بقتل المواطنين وترويعهم.

انتفضت فاطمة صارخة لأول مرة بوجه ادريس:-

- عليهم وعلى من يهتم بهم، وعلى كل العاملين بالسياسة اللعنة الكبرى.

رد ادريس:-

- ولماذا تلعنيني؟ فأنا كما ترين ومنذ فترة طويلة اهتم بشؤون بلدي

السياسية. ولا يمكنني مادامت البلاد وعبادها يخضعون للتهديد والابتزاز

ان اترك هذا الاهتمام.

ادركت فاطمة بزلة لسانها لتعود قائلة:-

- ارجوا المعذرة فانا لم اقصدك، كما لم اقصد ايضا الشرفاء من ابناء

بلدي.

وعلى الفور انتاباتها نوبة من البكاء.

تأثر ادريس الى درجة ضاعت منه الكلمات التي يجب ان يقولها في مثل هكذا

اوضاع. واخيرا استعاد رباطة جأشه ليقول:-

- لا عليك يافاطمة فهذا هو قدرنا.

قامت فاطمة من مكانها، واخذت قليلا من الماء وغسلت به وجهها، عل ذلك

يخفف من وطأتها. وما ان احست بالارتياح حتى عادت لتقول:-

- لماذا يلجأ الناس، خاصة اعضاء حزب الوحدة، الى استخدام العنف؟.

الا تكفيهم المحاجة؟.

اراد ادريس انهاء النقاش:-

- ان الارهاب الذي يقوم به اعضاء حزب الوحدة المدعوم من قبل اثيوبيا،

ما هو سوى سياسة اريد بها دفع الناس لتأييد مطالب الحزب، وذلك

خوفا من الابتزاز او الاغتيال الشخصي.

التفتت فاطمة نحو ادريس موجهة نظراتها التي توحى بالفخر والاعتزاز نحو وجهه، كما تفعل كلما ارادت ان تعبر عن حبها العميق لزوجها، قائلة:-
- صدقت يا أبا منصور.

(4)

ضاقت الارض بما رحبت على حقوص. فمئذ ان وقعت عيناه على ترحس، التي اخذت لبه في قرية معلو في نهاية شهر نوفمبر من عام 1946م، تفتحت منذ ذلك اليوم آفاق صراع محتدم بين قلبه وعقله. فقلبه يلون له عالما من الانشراق والحب والتفاؤل ويشده بقوة نحو فتاة السبعة عشر ربيعا، ويضعها رهن اشارته، وهي ممددة على طبق من فضة مزخرف باجمل آيات الحب والأمانى. موحيا له، بأن ترحس لا تقبل إلا به بديلا عن كل رجال وفتيان القرية. اما عقله فيوحي له بالصبر والتأني، وينصحه بعدم الانجرار وراء ما يصوره له قلبه. وبضرورة توخى الحذر في التعامل مع تلك الفتاة التي تقبع في احدى منازل قرية معلو.

وفي نفس الوقت كان يحس بما ينتظره منه مواطنيه من تضحيات في سبيل قضيتهم العادلة. ويؤمن بمدى اهمية الالتزام بما يفرضه عليه واجبه الوطني. فهو يعرف تماما، بان قضية شعبه العادلة لا تسمح له بالانجراف وراء عاطفته، والالتفات الى نداءات قلبه وتوجيهاته. ولم ينس ايضا، بانه مكلف من قبل صديقيه إدريس وإسماعيل، للقيام بجمع المعلومات عن نشاط القوى السياسية المحلية، وحضور الاجتماعات وتنفيذ ما يتمخض عنها من مهام، سواء فيما يتعلق بحث المواطنين لرفض اطروحات الاحزاب الارترية المتعاطفة مع اثيوبيا، او تنويرهم بآخر مستجدات وتطورات الاوضاع السياسية الجارية في البلاد.

واخذت الوسوس والشكوك تحوم حول ظروف الفوز بفتاته، تتتابه بين الحين والآخر، واخذ النوم يفر من عينيه، وماعاد يطيق الحديث كعادته مع زملائه، واصبح يتهرب تحت حجج واهية من القيام بعمله في ميناء مدينة مصوع.

فهو وما ان يبدأ يتذكر ترحس وهي تتفحصه بعينيها خلصة اثناء قيامها بصب الماء لغسل قدميه، في بيت عمته، حتى تأخذه الوسوس لتصور له بأنها هي الاخرى تبادلته الحب، وتريد ان تتصهر حتى تقنى فيه، وإلا لما تجرأت بلطمه بتلك

النظرات الحارقة. غيران تلك الوسواس سرعان ماتعود بصورة عكسية موحية له بانها لم تكن تنظر اليه خلسة إلا اشفاقا، وذلك نتيجة معاناة السفر ومشقة الطريق من ميناء مصوع الى قريتها. اوبأنها ليست سهلة المراسي لترتمي على شخص لا تعرفه.

كل هذه التخيلات مغلقة باكثر من سؤال اصبحت ترهقه. وادرك بانه عاجز تماما عن الحصول على الاجوبة الشافية لها. واخذ يحس، بان رأسه لا محالة سوف ينفجر نتيجة عجزه وخنوعه. لتكون نهايته مثيلة بتلك التي يصادفها غالبا عشاق الحب الفطري.

ذات يوم عاد حقوص على غير عادته الى داره مبكرا بعد ان طلب من رئيس وارديته في ميناء مصوع الاذن بالإنصراف، تحت حجة انه يحس بصداغ حاد يكاد ينسف رأسه. وما ان عاد لداره وقام بوضع قطعتي الخبز التي جلبها معه من السوق العربي، امامه على الطاولة القديمة، واحضر ايضا صحن الفاصوليا التي قام بطبخها مساء امس. وبدأ في تناول طعام غداءه، وتناول كوزا مليئا بالماء وافرغه في جوفه، ثم اسرع وارتمى على فراشه، عله يأخذ قسطا من راحة الظهيرة. وبينما هو يغظ في نومه، رأى حلما غير قابل للتفسير. رأى انه يصارع وحشا ضخما، له عين واحدة، ودون ان يدري سبب ذلك الصراع، اوالفترة الزمنية التي استغرقها، تبدد ذلك الحلم ليرى بدلا عنه قلبه وعقله منزويان في احدى اركان جسده وهما يتجادبان اطراف الحديث، فادرك على الفور بأنهما يتجادلان حول فتاته ترحس، فقرراالانصات لهما، فسمع عقله يقول لقلبه:-

- لماذا لا ترشد حقوص على الطريق القويم، بدلا من رميه على طريق محفوف بالمخاطر.؟ ابتلك البساطة تدفع الرجل، ليقع فريسة في حب فتاة قاصرة، لا يدري عنها شيئا سوى انها ابنة جيران عمته.؟.

واصل العقل بحدة:-

- انك سوف تتسبب في اضاءة حقوص ولا محالة في ذلك. واخشي ان يصاب بمكروه.

بعد لحظات سمع القلب يدافع عن نفسه قائلاً:-

- انها فتاة جميلة متكاملة الانوثة، وليست بالقاصر كما تدعى. وبها رقة توقع دون سابق انذار، ودون شروط مسبقة، اكثر الرجال شدة وبأساً، فمابالك بالمسكين حقوص.

رد العقل قائلاً:-

- الم يكن بالامكان او الاخرى التأكد من صحة ما يكمن في نفس ترحس. هل تبادلته نفس الشعور ام لاء؟. ولماذا يكون حقوص ضحيتها ؟ هل انعدم الفتيان من قرية معلو؟.

اجاب القلب:-

- ان الحب يا صديقي عاطفة انسانية لا يمكن لحقوص او لغيره السيطرة عليهما او التحكم بهما.

تساءل العقل وهو في حيرة:-

- لنفترض جدلاً ان في حياة ترحس احد فتيان القرية. فماذا سيترتب على ذلك، خاصة اذا كان حقوص يعشق تلك الفتاة كما تدعي؟.

تلعثم القلب قليلاً، ثم عاد ليقول:-

- لم يعد لحقوص من حيلة سوى الاستمرار في حبه حتى لو كانت فتاته مرتبطة بشخص آخر.

رد العقل:-

- انتقص ان يستمر حقوص في حبه، مع افتراض وجود رجل في حياة ترحس، ويسعى لانتزاعها ممن تحب ؟ ما هذا المنطق المعوج؟.

لم يتردد القلب هذا المرة، اذ سرعان ما قال:-

- نعم هذا ما قصدته بالتمام والكمال. وهو حق طبيعي لحقوق.

صرخ العقل محتجا:-

- هذا نوع من الانانية المفرطة التي تسيطر على افئدة بعض التعساء الذين لا يحكمون عقولهم. فكيف وبأي منطق يحق لحقوق النيل من ترحس. هل هي سلعة في متناول كل من اراد النيل منها والسيطرة عليها.

انتفض حقوق وهو يتصبب عرقا، وقام على الفور من مرقد، ليتناول ابريق الماء الموجود بالقرب منه ليفرغ محتوياته في حلقه المتيبس. وسرعان فاق الى رشده. وتأكد له بان مارآه لم يكن سوى انذار اولي بالكف عن الانجرار وراء عاطفته، والابتعاد عن محاولة القيام بالسيطرة على ترحس التي لا تدري عنه شيئا. وعليه اذا اراد الارتباط بها التأكد اولا وقبل كل شيء، عن رغبتها في القبول به. فإنحاز الى جانب عقله بالسعي لمعرفة مشاعر ترحس عبر اللقاء بها اذا امكن، او الاستفسار عن اوضاعها عبر عمته في قرية معلو.

سمع حقوق من بعض اصدقائه من عمال الميناء، بان عيد ميلاد السيد المسيح الذي يصادف في بداية شهر طري⁽¹⁾ بالتوقيت الجزري على الابواب. وعلى الفور طرأت له فكرة انتهاز هذه المناسبة السعيدة، والتوجه الى قرية معلو لقضاء العيد مع عمته، وفي نفس الوقت تحقيق رغبته في معرفة مشاعر فتاة احلامه.

ترسخت لديه اكثر فاكثر فكرة الذهاب الى قرية معلو، وكان عليه من باب المجاملة والتقدير ابلاغ اقرب اصدقائه وهو ادريس ومفاتحته برغبته في قضاء فترة اجازة عيد ميلاد السيد المسيح مع عمته السيدة لؤلؤ في قرية معلو. وكالعادة التقى بادريس في دكانه وما ان تبادلوا التحايا، حتى بادر:-

⁽¹⁾ شهر طري هو بداية السنة الجزرية، والذي يصادف في الغالب في السابع من شهر يناير من العام الميلادي.

- انني ارجب بالتوجه غدا الى قرية معلو لقضاء اجازة العيد هناك مع عمتي.

لم يستغرب ادريس ذلك، واعتقد بان قضاء العيد مع الاقرباء عادة مستحبة. ولم يكن يدري بالنية الحقيقية لحقوص، والمتمثلة في ان ذهابه ليس من اجل قضاء العيد مع عمته كما ادعى، بل من اجل التعرف ايضا على ترحس عن قرب، او الحصول على معلومات خاصة بها. وللتعبير عن موافقته قال:-

- هذه فكرة طيبة، وهي ايضا مناسبة قيمة لتعميق الاواصر الاسرية من ناحية، والتعرف على احوال اهل تلك المنطقة عن قرب من ناحية اخرى.

نزل رد ادريس على حقوص راحة وسلاما، فودع صديقه، وطلب منه ان يبلغ تحياته لاسماعيل ويعتذر له نيابة عنه، حيث انه لم يلتق به منذ الاجتماع الاخير ليخبره بخصوص سفره الى قرية معلو.

تمكن حقوص في اليوم الثاني من اللحاق بقطار الساعة الثامنة صباحا المتجه الى مدينة اسمر، التي وصلها في تمام الثالثة ظهرا. وبعد ان تناول طعام غداءه، المكون من قطعتي خبز مع كأس من الشاي، على رصيف محطة اسمر كما يفعل الكثيرون، شد رحاله الى قرية معلو التي وصلها في السادسة مساء.

وكعادة اهل قرى المرتفعات الارترية، وجد حقوص مواطني قرية معلو فرحين ومنشرحين، فشهري بالنسبة لهم هو شهر الخير والبركات، ففيه تتم مراسيم الزواج، ويتم فيه ايضا الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح، الذي هو من اهم الاعياد بالنسبة لمسيحي ارتريا. وفي هذا الشهر ايضا يحصد الفلاحون ماتبقى من محاصيلهم الزراعية، ويبيعون ما يفيض عن احتياجاتهم ليشتروا بها لوازمهم الاخرى، مثل البن والسكر، الاقمشة، الاحذية، مواد الزينة وغيرها.

لاحظ حقوص بان اهل القرية قد فرغوا قبل اسبوعين تقريبا من جمع محاصيلهم الزراعية التي كانت وفيرة نسبة لهطول امطار وفيرة، مما مكنهم ذلك من شراء الملابس الجديدة لأنفسهم واطفالهم واقربائهم. وبانهم يقومون بالاستعدادات اللازمة لعيد الميلاد.

فوجد الرجال، وعلى رأسهم زوج عمته السيد نجاش ودي اسفها، يتفحصون اصغر واسمن خرافهم لنحرها فجرا ايذانا بالعيد السعيد، ووجد النسوة، خاصة الفتيات منهن، وهن عاكفات على جمع الاخشاب والفحم لخبز الانجيرة، وتجهيز اواني الطبخ الفخارية، لطهي الطعام متى فرغ الرجال من تقطيع اوصال لحم خراف العيد.

توجه حقوص الى دار عمته التي وجدها منهمكة، مثلها مثل بقية نساء القرية في ترتيب البيت وتجهيز الطعام، وتنقية السوا استعدادا لعيد الميلاد. وما ان ولج باب الدار وشاهدته عمته التي اسرعت اليه، تاركة ماكان بيدها، وراحت تقبل وجنتيه الواحدة تلو الاخرى وهي ترحب بمقدمه.

توقع حقوص ان تكون ترحس في الدار. لكنه استدرك استحالة ذلك. فترحس لم تكن سوى بنت الجيران، وليس من المعقول ان تكون كل الوقت في بيت عمته. ومع ذلك فقد تمنى لو كانت في البيت.

لم تتوقع السيدة لؤول قدوم ابن اخيها، فليس من عادته، بل الاخرى لا يستطيع زيارتها في مناسبات الاعياد نظرا لبعد المدينة التي يعيش فيها. ومع ذلك فقد اعتبرت زيارته فاتحة خير اذ قالت:-

- انني سعيدة للغاية بمجيئك خاصة في هذا العيد السعيد.

وبدأت بالاستفسار عن صحته، واوضاع عمله. وما ان انتهت كلمات المجاملة حتى اسرعت وكالعادة بتقديم ابريق الماء ليقوم بغسل رجليه، وهي تقول:-

- لاتأخذني يابني فأنا الوحيدة الموجودة في البيت كما ترى. لذلك علي ان اصب الماء لك حتى تقوم بغسل قدميك وتزيل عنهما اتربة الطريق. ودون تفكير مسبق، وبضغط من عقله الباطني سمعته وهو يقول:-
- ولكن اين ترحس؟ اليس من الافضل ان تقوم هي بالواجب بدلا عنك؟. استغربت السيد لؤلؤ، وتذكرت بان ترحس بالفعل هي التي قامت بصب الماء على رجليه في المرة السابقة. وسرعان ماردت عليه قائلة:-
- ان ترحس هي بنت جارتني. وليس من المستحسن ان تكون معي في هذه الليلة، فهي ملزمة بمساعدة امها في هذه الليلة المباركة، ليلة عيد ميلاد السيد المسيح.
- واضافت وهي تسأل:-
- لكن كيف تذكرت ترحس، فقد مضى على ذلك حوالي العام. وهي علي ما اذكر لم تمكث معنا طويلا في تلك الليلة، كما لم تقم سوى بصب الماء لك، ومن ثم غادرت دون ان تعود، وحتى انك لم تشاهدها في صبيحة اليوم الثاني وانت تغادر القرية.
- احس حقوص وكأن الارض تلف به من جراء تعليق عمته الذي لم يخلوا من السخرية. ومن ضغط الاحراج بدأ بحك رأسه كعادته كلما احس او وقع في حرج من امره. وفضل ان يدارى حرجه قائلاً:-
- لم اقصد شيئاً يا عمتي، فأنا قد تذكرتها عندما وطأت قدمي باب دارك قبل لحظات ليس إلا.
- الا ان السيدة لؤلؤ ويحدث خاص بها لم تقتنع بما قاله ابن اخيها، اذ سرعان ما اضافت قائلة:-

- لا اعتقد بانك قد تذكرتها للتو وانت تدخل داري. اذ ان ليس من المعقول، ان لم يكن شيئاً يشغلك بها، ان تتذكرها فجأة. واعتقد ان ترحس كانت تشغل بالك منذ ان لاحظتها في زيارتك الاولى و... ودون ان تكمل قاطعها حقوص وهو يقول:-
- لا تذهبي بعيدا ياعمتي، فأنا لازلت في بداية المشوار، ولا توجد لدي فكرة محددة عن ترحس.
- وحتى يكون صريحا اكثر اضاف قائلاً:-
- صحيح انا منجذب الى ترحس منذ ان رأيتها في هذه الدار. لكن لا اعرف عنها شيئاً سوى انها إحدى بنات جارتك.
- احست السيدة لؤلؤ، ودون ان تدري، بانها قد اريكت ابن اخيها، وماكان عليها ان تترك لسانها يصول ويجول بالكلام. كما ادركت بان واجب الضيافة يحتم عليها وقبل كل شيء توفير سبل الراحة له، ومن ثم اذا كان ضروريا التطرق لما اثارته. وعلى الفور ولمعالجة ذلك قالت:-
- لا عليك يا بني. يمكننا ان نتحدث بخصوص ذلك لاحقا.
- واستمرت في صب الماء على رجليه. وما ان انتهى من غسل قدميه حتى قامت واحضرت له طعام العشاء، الذي تألف من قطعة خبز الإنجيرة المرشوش فوقها مرق الزقني الحار⁽¹⁾، وطاسة متوسطة الحجم مليئة بشراب السوا الطازج. وبدأ بتناول طعامه وهو لا يصدق بانه قد نجى ولو مؤقتا من ملاحظات عمته الساخرة. وعلى الفور توجه الى المكان المخصص لنومه، وراح في نوم عميق.
- مع تباشير الصباح الاولى، وعلى صوت وقع الطبول المنبعثة من صحن كنيسة القديسة مريم المجاورة لبيت السيدة لؤلؤ، وزغاريد النسوة المتعالية رويدا رويدا والممزوجة بزغزغة العصافير، ونباح الكلاب، ايدانا بقدوم عيد الميلاد السعيد،

(1) الزقني هو عبارة عن لحم مطبوخ تستخدم فيه الشطة الحارة بكثرة.

اسرع حقوص بإرتداء ملابسه ليلحق بركب المتوجهين الى الكنيسة لأداء صلاة الشكر.

انهى القوم صلاتهم والفرحة تملو وجوههم، وهم يهتئون بعضهم البعض، ليتوجه كل منهم بعد ذلك الى داره. وما ان وصل حقوص باب دار عمته حتى تسمر في مكانه عاجزا عن الحراك. فقد شاهد على بعد عدة امتار منه المرأة التي احبها من اول نظرة، واقفة على عتبة باب منزلها، وهي ترتدي لباس ألزوريا التقليدي⁽¹⁾ ، ... نعم هي بعينها، هي الحدث الذي تربع في قلبه، هي ترحس. مرت لحظات لتتفرج اخيرا بإبتسامة ذات مغزى اهدتها له بمناسبة عيد ميلاد المسيح. وتمنى حقوص ان تستمر تلك الابتسامة. الا انه لاحظ يدها اليمنى تهم بقفل الباب وسط بحر امنياته الزاخر، امنية واحدة هي ان تطول فترة بقائها امامه حتى تشبع عينيه بالجسم المكتز الذي ينضح شبابا، لكن دون فائدة اذ سرعان ما سمع صرير الباب ووقع خطوات ترحس عميقا داخل المنزل.

إلتأم شمل عائلة السيد نجاش ودي اسفها الصغيرة، ومعهما حقوص، على مائدة افطار العيد المكونة كالعادة من عصيدة حبوب شعير الموسم التي تجثم على صحن دائري مقعر مليئ حتى نصفه بلبن الماعز والسمن البلدي، الذي تعده السيدة لؤلؤ خصيصة لهكذا مناسبة، بالاضافة الى الزير المتوسط الحجم المليئ بالسوا الطازج، الذي يكون في متناول اهل الدار وضيوفهم حتى غروب الشمس. رفعت السيدة لؤلؤ غطاء الصحن الذي تريض فيه عصيدة الشعير ايدانا ببدء تناول الطعام، وقام رب الاسرة السيد نجاش ودي اسفها بقول:-

- أبانا الذي في السموات، فليقدس إسمك ... إعطنا كفاف يومنا...

تبعه حقوص وعمته قائلين آمين.

⁽¹⁾ ألزوريا لباس تقليدي ترتديه النساء وكذا الفتيات الشابات من اهل مرتفعات ارتريا، خاصة في مناسبات الافراح والاعياد. وهو مصنوع من خامة القطن، ناصع البياض تحيط بدائرته السفلى نقوشات زاهية الالوان.

بعد الانتهاء من تناول طعام الافطار، غسلوا الثلاث ايديهم، وحمدوا ربهم على ما وهبهم من نعم الطعام، وعلى الفور اسرعت السيدة لؤول بتحضير ادوات القهوة. ولم تمر سوى دقائق معدودات حتى انتهت من قلي ودق حبات البن، لتصبها في الجبنة المليئة بالماء وتضعها في الكانون. وريثما يسلق دقيق البن ويمتزج بالماء المغلي، قامت بتحضير حبات الذرة الرفيعة وبدأت بغليها. وفي لحظات اصبح كل شئ جاهزا، ومع تصاعد دخان المبخرة، قدمت حبات الذرة الرفيعة، وادارت فناجين القهوة مرة وثانية وثالثة كما تقتضي العادة، لكل من زوجها وابن اخيها.

انتهر حقوق فرصة الانشراح التي سادت المكان ليسأل زوج عمته:-

- ارى بان الخير قد عم القرية، فهل كان الموسم الزراعي لهذه السنة ناجحا حقا.

رد السيد نجاش:-

- نعم كان موسم هذا العام جيدا للغاية. فقد تمكنا والشكر لله من جني محصول وفير من الذرة الرفيعة والشعير. بالاضافة الى ذلك فقد كان موسم البطاطس ايضا ناجحا هو الآخر.

ارادت السيدة ان تدلوا بدلوها فقالت:-

- لقد كان الموسم الزراعي لهذا العام ناجحا بكل المقاييس. فنحن ومنذ سنوات عديدة لم نتمكن من ملئ ألقفو⁽¹⁾ بالمحاصيل سوى في هذا الموسم المبارك.

تدخل حقوق:-

- هذا من نعم الله علينا، انه لا ينسى مطلقا عباده.

رد السيد نجاش:-

(1) ألقفو بلغة التجربنيا يعني مخزن الغلال. وهو عبارة عن وعاء مصنوع من الطين الممزوج بروت البهائم مستطيل الشكل، يتسع حجمه في المتوسط لتخزين 3-5 كنتالات من محاصيل الحبوب الغذائية.

- نعم يا بني ان الله لا يمكن ان ينسى عباده.

وهو مؤكدا ومثنيا على ماقاله حقوص.

بعد الإنتهاء من شرب القهوة، سارعت السيدة لؤول باحضار الاكواب التقليدية المصنوعة من قرون الابقار، وعلى التو بدأت بصب السوا فيهما، وقدمتها لزوجها والثانية لابن اخيها واحتفظت بالثالثة لنفسها، وهي تقول:-

- اشربوا فالسوا الذي صنعه بيدي هو اطيب مافي القرية.

وعلى الفور قام كل من زوجها وابن اخيها بأخذ رشفتين متتاليتين من الاكواب وبصوت واحد:-

- انه طاعم المذاق.

ولمزيد من الاطراء قال السيد نجاش وهو يلتفت الى حقوص:-

- ان عمك ماهرة في صنع السوا. وقد كانت صادقة عندما قالت بان

السوا الذي تصنعه لا مثيل له في قريتنا.

ضحك الجميع. واراد حقوص ان يمازح زوج عمته عندما قال:-

- اهي ماهرة فقط في صنع السوا؟

رد عليه قائلا وبصورة واثقة:-

- ليس السوا فقط، فهي ماهرة ايضا في صنع الطعام، وترتيب وتنظيف

البيت، واستقبال ومعاملة الضيوف بصورة تليق بنا جميعا.

بعد ان انهى حقوص كوبه الثاني من شراب السوا حتى احس بنوع من الانشراح وخفة الدم، ودون اي حرج قال مواصلا مزاحه:-

- يبدو انك سعيدا بعمتي. ولا اعتقد بانها ماهرة فقط في صنع الطعام

والشراب، وحسن استقبال الضيوف. فهي ايضا ماهرة في توفير سبل

الراحة لك، خاصة عندما تعود في المساء من مزرعتك.

انفجر زوج عمه حقوص ضاحكا وهو يقول:-

- لقد فهمت ماترمني اليه، فهي تشبعتني حتى التخمة فيما انت تقصد.

واضاف بعد ان لاحظ بان السيدة احست بالحرج قائلاً:-

- الحقيقة انني سعيد بعمتك، فهي بالفعل رديفة لي، ولم احس منذ ان

تزوجتها قبل خمسة عشر عاما باي نقص فيها، فهي زوجتي وام ابنا

الوحيد، وهي لا تكف عن طاعتي في كل صغيرة وكبيرة. ولم يحدث

خلال السنوات الماضية من عمرنا ان تشاجرنا او اختلفنا.

وقام على الفور وللتدليل على ماقاله بتقبيل زوجته في رأسها.

ارتاحت السيدة لما قاله زوجها، وسعدت كثيرا بالقبلة التي طبعها على رأسها، اذ

كان ذلك بمثابة اظهار مدى الاحترام والتقدير الذين يكنهما لها. وقالت:-

- نعم ان ابا ابرهام رجل بكل ما تعنيه الكلمة، فهو يقوم بكل واجباته على

اكمل وجه وليس به تقصير. واننا نعيش على احسن حال. اتمنى ان

يديم الله عليه الصحة ويرزقه من حيث لا يعلم.

مرت اللحظات سريعاً، ودارت اكواب السوا التي شرب منها كل من الرجلين

خمسة اكواب وهما في انسجام تام. وعندما بلغ النهار منتصفه، تنبه السيد نجاش

بان ساعة زيارة الجيران والمعارف قد حانت. فاستأذن زوجه وابن اخيها، وتوجه

لزيارة جاره القريب السيد حدقو والد ترحس.

احس حقوص برغبة جامحة للتبول، فهو يعلم تماماً بان احدى مساوي شراب السوا

هو كثرة التبول. وكلما زادت كميات الشرب منه كلما زادت الرغبة في ذلك. فخرج

من المنزل متوجها الى مجموعة اشجار الغلاميطوس⁽¹⁾ التي لم تكن بعيدة عن

دائرة عمته، التفت يمينا ويسارا ثم افرغ ماكان في مثانته على جزع احد الاشجار.

عاد الى البيت ليجد فيها ترحس وهي تدرش مع عمته. وسط دهشته واضطرابه

لقى التحية دون ان يرفع عينيه عنها، فردت عليها قائلة:-

(1) اشجار البان.

- حمدا لله على سلامة وصولك.

لم يتمكن من فتح باب الحديث معها بل اكتفى بفتح فمه كأن هبلا قد اصاب عقله.

ارتاحت السيدة لرد ترحس واستحسنتها. الا ان ترحس لم تشاء البقاء في منزل السيدة، وعلى الفور استأذنت للعودة الي بيتها.

ما ان انصرفت حتى احس حقوص بالارتخاء، واراد الاستفسار عن سبب مجيئها. اهي جاءت من اجل تهنئته بسلامة الوصول ام كان لها غرض آخر يتعلق بمجيئه. وعلى الفور سأل قائلاً:-

- ماذا اتي بها؟

استغربت السيدة لؤول لسؤاله وهي قائلة:-

- ما العيب في ذلك، الا يحق لها زيارتي؟

رد حقوص قائلاً:-

- كيف تسمين تلك زيارة، ولم يمضي على قدومها حسب تقديري اكثر من

عشرة دقائق، اهكذا تتم الزيارات؟.

واضاف وبنوع من الصرامة قائلاً:-

- ام انها لا تطبق رؤيتي ، وفضلت الذهاب؟.

ازداد استغراب السيدة وهي تقول:-

- ما بك ألعب السوا برأسك ؟.

واضافت:-

- يا بني اننا في يوم عيد. وقد انت ترحس وهي تحمل لنا كمية من خبز

الانجيرة وإبريقا مليئا بالسوا. وهذه احدى عاداتنا التي نقوم بها في اعياد

الميلاد. ولا يوجد اي مبرر يترك ترحس تمضى وقتا طويلا معنا.

فالواجب يحتم عليها تسليم ما اتت به، والعودة سريعا لمواصلة ما ينتظرها من اعمال في بيتها.

واضافت لترطيب الجو قائلة:-

- لقد سألت عنك، واخبرتها بانك في الخارج لقضاء حاجة في نفسك، وبانك سوف تعود سريعا، فما كان منها سوى ان جلست تدرش معي حتى تعود.

استدرك حقوص بان لسانه قد زل، وراى ضرورة ان يأخذ بخاطر عمته اذ قال:-

- لم اقصد شيئا سيئا يا عمتي فأنا لم اقصد احراجك او التنكيد عليك في هذا اليوم السعيد.

ردت عليه قائلة:-

- لا عليك ... لا عليك.

ارتاح حقوص وانبسبت اسارير وجهه، وتفتحت شهيته لتناول قدحا آخرا من السوا.

انتهزت السيدة لؤول حالة انشراح ابن اخيها لتقول:-

- اصدقني القول مارأيك في ترحس؟

كان السؤال مفاجئا لحقوص، فهو لم يتوقع ان تسأله بهذه الصورة الواضحة عن

ترحس، وبعد تردد قال دون الاطالة في الحديث:-

- اني ارتاح لها.

امكست السيدة بالخيط الذي كانت ترغب بالامساک به لتسأل:-

- ماذا تعني بالارتياح؟.

رد قائلا:-

- مضى على تعرفي بترحس حوالي العام، وكنت خلال تلك الفترة ولازلت

معلقا بها. وانا لا اعرف بالضبط حقيقة مشاعرها نحوي.

واضاف:-

- كما تعلمين ان العيش بعيدا عن شخص تريد الارتباط به مسألة صعبة. والاصعب من ذلك ان لا يتمكن المرء من مشاهدته، خاصة مثل حالتي. فأنا اعيش وحيدا، وفي بلد لا يوجد به، بإستثناء اصدقائي، اي شخص من اقربائي يمكنه فتح صدره لتفريغ ما احس به. وبهذه المناسبة اود ان افاتحك بانني اريد الارتباط بترحس، وانني جاد فيما اقله. وان هذا لا يمكن ان يتحقق الا بمساعدتك ودعمك، وارجو منك المساعدة.

رق قلب السيدة لؤلؤ وعلى الفور قالت:-

- اذا كنت في الواقع تريد الارتباط بترحس فهذا شئ طبيعي، وطيب في نفس الوقت. وطالما صارحتني بما يخالج نفسك، فإنني أؤكد لك بان ترحس فتاة مستقيمة، ومن عائلة معروفة في القرية، وليس بها اي عيب. واعتقد بانك ان كنت صادقا فيما تقوله فان ترحس ووالدها سوف يوافقان ارتباطك بها بصورة شرعية.

ارتاح حقوص لكلام عمته، وللتأكيد على حديثه قال:-

- لقد عزمت امري، فأنا لم آتي حقيقة لقضاء عيد الميلاد معك فقط كما قلت لك، بل جئت ايضا على امل ان اجد الفرصة للتحدث معك حول مشاعري نحو ترحس، والبحث عن امكانية الارتباط بها من خلال دعمك ومساندتك.

اغرورقت عينا السيدة وهي تقول:-

- اذا علينا البدء بالمشوار.

رد عليها:-

- متى يمكن ان نبدأ؟

ردت قائلة:-

- في البداية، وهذا ما يحتمه الواجب، سوف اناقش زوجي واقنعه بالوقوف معنا ومساعدتنا. بعد ذلك نقوم بالترتيبات المتعارف عليها. ويمكننا البدء منذ الآن، على ان يتم ويتحقق المراد في العام القادم، وفي مثل هذا الشهر.

كاد حقوص يطير فرحا مما سمعه، وعلى الفور قال:-

- من جانبي فأنا على اتم استعداد وانني أوكل امري لك.

اتفقت السيدة مع ابن اخيها لاجراء مايلزم من ترتيبات، وابلاغه اولاً بأول عن الاجراءات التي تقوم بها، وما يستجد من تغييرات. على ان يقوم هو بترتيب اوضاعه والاستعداد لليوم الموعود.

ودع حقوص عمته بعد ان تناول معها طعام الغداء، وتوجه الى اسمرال للحاق قطار الساعة الثانية بعد الظهر المتوجه الى مدينة مصوع.

(5)

لم تخبب السيدة لؤول أمل ابن اخيها في القيام بالواجب الذي يمليه عليها الارتباط الاسري، فقد سارعت في احدى الايام، بعد ان تناول زوجها طعام العشاء بعد عشاء يوم طويل في المزرعة، بإخباره عن الاتفاق الذي توصلت اليه مع ابن اخيها، فيما يتعلق برغبته بالزواج من بنت جارهم السيد حدقو. وكما توقعت، فقد قابل زوجها الخبر بإرتياح شديد، ولم يتردد بلعب دور الاب لتحقيق امنية حقوص ارفعوم ابن اخ زوجته.

انتظر السيد نجاش ثلاثة ايام حتى يزور جاره والد ترحس، فزيارة يوم الاحد لها الكثير من الدلالات عادة. فبعد ظهر ذلك اليوم توجه الى دار جاره، فالأمر في مخيلته قد تم، وبعضاه طرق مرتين على الباب، ليأتي صوت من الداخل ميزه على الفور انه السيد حدقو طالبا منه الدخول.

استغربت ام ترحس وهي تصب الشاي لزوجها وضيغه لمجئ جارها، فهي تعرف بان ليس من عادته طرق باب دارهم في مثل هذه الساعة. فوقت الشاي في دار السيد حدقو له نكهة معينة، وهو اسري خاص. لكن بحسها الذي لا يخذلها ادركت بان وراء مجئ جارها شيئا هاما سوف تتأكد منه سريعا. وبينما السيد نجاش يدنو كوب الشاي من فهمه علق قائلا:-

- منذ فترة طويلة وانتم تواظبون على شرب الشاي كل يوم احد.

التفت السيد حدقو الى زوجته وهو يبتسم ليقول:-

- نعم لقد اصبح شرب الشاي لدينا في ايام الآحاد عادة مستحبة. ولا اخفي عليك، فهي مناسبة طيبة تسمح لي بالدرشة مع ام ترحس والتكيت عليها.

التقطت ام ترحس الفرصة سريعا لتقول بلهجة مرتبكة وغير منتظمة:-

- اننا ننتظر بفارق الصبر قدوم يوم الأحد. وما ان يبدأ مؤذن قرينتنا برفع آذان العصر حتى اقوم بتحضير الاكواب، والابريق، وحب الشاي والسكر، واقوم على الفور بغلي الشاي، بينما يكون اب ترحس جالسا في مقعده الخشبي المخصص له وهو بانتظار ان اسكب له فنجان الشاي.

واضافت لتقول:-

- ومع الفنجان الاول يقوم كل منا بالتعليق على الآخر وممازحته. ونستمر في حالنا لفترة لا تقل عن ساعتين. لتقوم بعدها ابنتنا ترحس بتقديم طعام العشاء لنا.

انهى السيد حدقو وجاره من افراخ كل واحد منها فنجانه. حتى احست السيدة لؤلؤ بان من الواجب ترك الرجلين لحالهما وهمت بالانصراف وهي تقول:-

- سوف اترككما لوحدكما لتتحدثوا بحرية.

انتهز السيد نجاش ودي اسفها الفرصة على الفور فدنا بوجهه من جاره ونطق همسا:-

- اعرف ان بحضوري المفاجئ سببت حرجا لأم ترحس وضيقا لجلسة الشاي الممتازة هذه.

وقبل ان يواصل كلامه تدخل السيد حدقو، وبحديث خالطه بعض الابتسام واسارة من يده قائلا:-

- لاعليك فنحن اخوة وجيران. وان مجيئك لهو شرف عظيم لي.

إطمأن السيد نجاش وواصل حديثه بشيء من الجدية:-

- لقد اتيت لك في موضوع هام، وهو يتعلق برغبتنا من القرب منك.

واضاف:-

- لقد اتيت لطلب يد ابنتك لابن أخ زوجتي.

لم تصدق السيدة أم ترحس ماقاله نجاش وهي تسترق السمع. ومنذ فترة ليست بالقصيرة كانت تفكر بمستقبل إبنتها، وكانت تتمنى ان يمن الله عليها بشخص يستطيع ان يسعدها. وكانت تخشى ان لا يفوت إبنتها قطار الزواج، خاصة وانها لم تعد بالصغيرة، فهي قد تجاوزت السابعة عشر من عمرها. انتظر السيد نجاش ودي اسفها رد جاره. بينما اسرعت السيدة أم ترحس للخروج من باب الدار حتى لا يكتشف امرها وتلصصها عليهم. وبعد برهة من الصمت، اجاب السيد حدقو قائلاً:-

- لقد فاجئنتي، اذ لم يدر بخلدي بانك سوف تأتي لتطلب ابنتي لأحد أقاربك. وعلى كل حال فإنني لا املك سوى ان اصارك القول، وهو انني لا يمكن ان اجد لإبنتي رجلاً محترماً مثل ابن أخ السيدة لؤول. واضاف قائلاً:-

- وكما تعلم فإنني لست الوحيد الذي يبيت في هكذا امر. فأرجوا اعطائي الفرصة الكافية لاتحدث بخصوص طلبك مع اهل البنت، خاصة مع امها. وسوف اعطيك الرد عاجلاً. تدخل السيد نجاش ليقول:-

- لا عليك فعاداتنا وتقاليدنا تحتم علينا التشاور مع الاهل في هكذا أمور. ولك كل الحق في استشارة اهلك، وانا لست في عجلة من امري. اتفق الرجلان لمعاودة لقائهم خلال فترة لا تقل عن أسبوعين. لم يعترض السيد حدقو على طلب جاره. فهو يعرف تماماً بان العائلة التي تريد مصاهرته، هي عائلة عريقة وذات اصل ونسب معروفين ليس في قرية معلو فحسب بل في عموم المنطقة. وعلى الفور وبعد ان انصراف جاره، استدعى زوجه لينقل لها الخبر.

وما ان شرع في الحديث حتى قاطعته:-

- لقد سمعت مادار بينكما.

انتفض في دهشة وكادت عينيه تخرج من محجرها، والكلام يضغط على لسانه،
مع ابتسامة واسعة:-

- ماذا تقولين.

ردت:-

- لا اعتقد باننا يمكن ان نجد شخصا مناسباً اكثر من ابن أخ السيدة
لؤول.

تأكد السيد حدقو من عدم اعتراض زوجته، فقال:-

- انني ايضا اشاركك الرأي، فالشخص القادم الينا لا يوجد به اي عيب،
وهو من اسرة معروفة لدينا. لكن هذا لن يكون كافياً اذا لم نتحصل على
موافقة ترحس الصريحة.

انتفضت السيدة ام ترحس لتقول:-

- منذ متى اصبح لأولادنا الحق في معرفة رأيهما بخصوص الزواج؟ نحن
الذين نقرر متى، ومن من نتزوج ابنتنا. وما على ترحس سوى قبول ما
نقره.

مضت الخمسة عشر يوماً سريعاً. وحان موعد لقاء الرجلين الذين لم يتخرج اي
منهما للقاء. فهما يعتقدان بانهما مقدمان على امر يرتضيه الله والبشر. وما ان
حانت الرابعة عصراً، حتى توجه السيد نجاش الى منزل جاره ويقرعه خفيفة وكأن
جاره في انتظار فتح الباب. وعلى الفور دلف للداخل وكان الشاي كالعادة في
انتظاره.

تبادل الرجلان التحايا والاستفسار عن احوال الاهل والوضع العام للبلاد. وقد كان
السيد نجاش متعجلاً لمعرفة رد اسرة السيد حدقو حول طلب يد ابنتهم. وما ان فرغ

الاثنان من تناول الشاي الذي يعد خصيصا في ايام الاحاد في بيت السيد حدقو، حتى بادر السيد حدقو قائلاً:-

- لقد اجريت سلسلة من المشاورات خلال الايام الماضية مع اهلنا حول طلب يد ابنتنا ترحس لابن اخ السيدة لؤلؤ. وقد اجمع الاهل كافة على الموافقة، ولا اعتراض لهم على ذلك.

انفرجت اسارير السيد نجاش وسرعان ما قال:-

- كنت اتوقع ردكم الايجابي هذا. ولم يساورني في ذلك ادنى شك. فقد كان والدي رحمه الله يقول لي بان الجار الفاضل والكريم، افضل بكثير من الاخ الذي لا يتواصل بأشقائه واهله ولا يفكر بهم.

واضاف مستفسراً:-

- اذا ماالمطلوب عمله.

رد السيد حدقو قائلاً:-

- لقد اتفقنا من حيث المبدأ على قبول طلبكم. ولإتمام ذلك او جعل ذلك حقيقة قائمة، فانني افضل ان نحدد اليوم الذي نقوم فيه بإجراء الخطوبة بين حقوص وترحس...

وقبل ان يكمل حديثه، ظهرت السيدة ام ترحس التي كانت تستمع الى حديثهما من وراء ستار الغرفة الداخلية فجأة لتقول دون استئذان مسبق:-

- ان ترحس وحقوص قد تجاوزا العمر الذي يؤهلها للزواج. وهما صالحان له، وعلينا لذلك اتمام الاجراءات التي يجب اتباعها.

واضافت لتقول:-

- ان الواجب يحتم علينا، خاصة ونحن متفقون على اعطاء ابنتنا لكم، الاسراع في تحديد يوم الخطوبة، وابلاغ اهلنا بذلك.

إستحسن الرجلان ماقالته السيدة ام ترحس، وعلى الفور بادر السيد حدقو ملتفتا الى زوجته:-

- اعتقد بان علينا تبسيط الامور. وعدم اطالة الوقت في اجراءات عادية

مثل الخطوبة. وانني اقترح ان نلتقي يوم الاحد القادم، لبدء المراسيم.

على الفور وافق السيد نجاش ودي اسفها على اقتراح السيد حدقو. وطلب الإستئذان للإنصراف.

توجه السيد نجاش الى بيته ليزف البشرى لزوجته، وسرعان ماقال:-

- لقد قبلت اسرة السيد حدقو بالموافقة على ابننا حقوص...

وقبل ان يكمل حديثه انفجر جو منزل السيد نجاش بزغاريد السيدة لؤلؤ معلنة في ذلك عن رضاها وامتنانها بتحقيق الخطوة الاولى لأمنية ابن اخيها.

طلب السيد نجاش من زوجته الهدوء والكف عن مواصلة الزغاريد حتى يتمكن من اكمال ما تبقى من حديثه. وما ان امتثلت لرغبته حتى عاد لمواصلة حديثه:-

- لقد اكرمني جاري بموافقتك على طلبنا. وللتعبير عن قبوله بصورة صادقة

اقترح علي ان نقوم باتمام الخطوبة يوم الاحد القادم وفي تمام الرابعة

عصرا.

جثت السيدة لؤلؤ على ركبتيها في فناء البيت، واخذت تتمتم بصوت منخفض تعبيراً عن شكرها للسيدة العذراء مريم التي ساعدتها على تحقيق امنية ابن اخيها.

بعد إكمال ركوع شكرها قالت:-

- علينا منذ الآن عدم اضاءة الوقت، والاسراع في ترتيب ما يمليه علينا

التزامنا. اذ ان اليوم الذي حدد لإجراء الخطوبة قصير جدا.

ادرك السيد نجاش بان الوقت سوف لا يسعفه اذا لم يسرع بالقيام بواجباته. وعلى

الفور استقر رأيه على ضرورة البحث عن شخص يمكن ان يعتمد عليه لابلاغ

حقوص بما تم الاتفاق عليه مع اسرة ترحس. وسرعان ماتذكر بان احد اصدقاء

حقوص يدعى محاري سائق احد القطارات التي تعمل على خط اسمرام مصوع
يمكن الاعتماد عليه في تبليغ حقوص الامر. واخبر زوجته بضرورة توجهه لاسمرام
غدام.

وافقت السيدة لؤلؤ على الاقتراح. وفي صباح اليوم الثاني توجه السيد نجاش الى
محطة قطارات اسمرام. ولحسن حظه وجد محاري وهو يستعد للقيام برحلة متجهة
الى مدينة مصوع. فسلمه رسالة لزميله حقوص، تحتوى على ما اتفق عليه مع
السيد حدقو. وطلب منه في رسالته ايضا ان يقوم بشراء لوازم الخطوبة من ملابس
ومواد الزينة .

فض حقوص ارعدوم رسالة السيد نجاش ودي اسفهام، وما ان علم بمحتواها حتى
احس بفرح عامر. وتوجه رأسا الى دكان زميله ادريس ليبشره وهو يقول:-
- وصلتني رسالة من زوج عمتى يخبرني فيها بانه قد اتفق مع اسرة الفتاة
التي ارغب الزواج منها، باجراء مراسم الخطوبة. كما ابليغي بضرورة
القيام بشراء اللوازم لذلك.

لم يخف ادريس سروره وفرحه بما سمعه من زميله قائلا:-

- انه خبر سعيد وعلينا عدم اضاءة الوقت.

وعلى الفور توجه الصديقان الى احد دكاكين السوق العربي وقاما بشراء لوازم
الخطوبة.

بعد ثلاث ايام اتجه محاري الى قرية معلو بناء على طلب صديقه حقوص، والتقى
فيها بالسيد نجاش ودي اسفهام، وسلمه رسالة حقوص التي عبر فيها عن سعادته
وشكره. كما سلمه ايضا لوازم الخطوبة التي اتى بها. وقد طلب حقوص في رسالته
ايضا من السيد نجاش ان يقوم باجراء مايراه مناسباً لاتمام الخطوبة وتحديد موعد
الزواج ، وان ينوب عنه في كل ما يتعلق به.

استعد السيد حدقو تماما ليوم خطوبة ابنته. فهو ومنذ ان اتفق مع السيد نجاش يقوم باخبار كل من يلقاه من اهله ومعارفه، ويطلب منهم الحضور ومشاركته في اليوم السعيد.

وقبل بزوغ فجر اليوم الموعود، قام السيد حدقو بذبح احدى أسمن اغنامه، لتقوم على اثر ذلك السيدة ام ترحس بطبخها، تساعدنا في ذلك بعض النسوة من اقاربها. كما قامت بتحضير وتجهيز الخبز البلدي المعروف "بالانجيرة" والمشروب الروحي المفضل لسكان قرية معلو "سوا الداقوشا". واستعد الجميع لاستقبال اهل السيد نجاش ودي اسفها.

في منتصف اليوم المتفق عليه وصل السيد نجاش يرافقه عدد من اقربائه ومعارفه الي بيت السيد حدقو. وما ان وصل الركب حتى بدأت النسوة باطلاق الزغاريد، وبدأ الرجال بتوجيه الضيوف الى اماكن الجلوس المخصصة لهم. وكالعادة جلس الرجال على الارائك الخشبية المتناثرة على ارضية غرفة الاستقبال، وتوجهت النسوة الى داخل الغرفة المرفقة بالمنزل. وقدمت كؤوس السوا للحاضرين. وماهي الا لحظات حتى قام رب البيت بتقديم الطعام، طالبا من الجميع كما تقتضيه عادات اهل قرية معلو، بالبدء بتناول الطعام.

بعد ان انتهى الحضور من تناول الطعام، قام السيد نجاش ودي اسفها بتقديم الشكر للسيد حدقو على الترحيب بهم واستضافتهم. وكرر على مسامع الحضور المناقب والاقضال التي تتحلى بها اسرة السيد حدقو. وعلى الفور طلب ان يقوم السيد حدقو باعتباره رب الاسرة، باستلام ما قاموا بجلبه من هدايا.

تقدم السيد حدقو نحو السيد نجاش وهو يقول:-

- إننا جاهزون لاستلام ما تقدمونه من هدايا بمناسبة الخطوبة.

تلقت السيد نجاش نحو من قدموا معه من اقاربه ومعارفه وقال:-

- إننا وبإسم اسرتنا نتقدم اليكم بالهدية التي قمنا باحضارها، وهي عبارة عن رمز لترابط اسرتينا، نرجوا استلامها.

قام السيد حدقو باستلام وعرض ماقدم له. والذي تكون من قطعتي قماش الواحدة مصنوعة من القطن الخالص تصلح كثوب تقليدي يسمى "الزوريا" ، وقطعة اخري مصنوعة من خامتي القطن والنايلون تصلح كثوب داخلي وهي تتماشى مع القطعة الاولى، وحذاء، وصليب ذهبي صغير الحجم لا يتجاوز الثلاث غرامات وكل ذلك هدية وعربون محبة مقدم من قبل اسرة السيد نجاش ودي اسفها لترحس بنت السيد حدقو.

بعد الانتهاء من ذلك، وبناء على ماتقتضيه عادات وتقاليد اهل مرتفعات ارتريا، تقدم السيد حدقو باعتباره ابا لترحس بتقديم "القزمي" وهو عبارة عن هديه تقدم في حالتها الخطوبة والزواج. وقد تكون "قزمي" السيد حدقو احد أسمن واصغر عجول الاسرة. ليقوم السيد نجاش باستلامه بكل ترحاب.

بعد ذلك اتفق الرجلان بحضور اقاربهما على خطوبة كل من ترحس حدقو وحقوص ارعدوم. كما اتفق في نفس الوقت على ان يتم عقد القران بعد الانتهاء من حصاد العام المقبل اي في الاسبوع الاول من شهر طري القادم. كما اتفق على ان يقدم السيد حدقو "قزمي" الزواج المكون من بقرة حلوب، وكنثال من حبوب الطاف⁽¹⁾ واطعام القادمين لإستلام العروس. وماهي لحظات حتى انفض الجميع بفرح غامر.

كانت ترحس على احر من الجمر للإقتران بحقوص ارعدوم. فهي تعلم تماما، وعلى الرغم من عدم قدرتها للإختلاط به، نظرا للقيود الثقافية التي يفرضها واقع مجتمع قريتها الصغير، كانت تعلم بان حقوص يبادلها مشاعر الحب الصادق دون ان يبوح لها بذلك. وما ان ابلغت بصورة رسمية بأن منتصف شهر طري

(1) حبوب الطاف هي حبوب غذائية يستخدمها سكان المرتفعات الارترية.

(يناير) هو موعد زفافها حتى كادت، من وقع الخبر عليها، ان تقع على الأرض، ودون ان تدري هزت رأسها اشارة منها على الموافقة.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت اسرة السيد حدقو بالاستعدادات اللازمة. فقد تمكنت من شراء كنتال ونصف الكنتال من حبوب الطاف لصنع الانجيرة، وكنتال من حبوب الداقوشا لصناعة السوا.

وما ان تبقى اربعة ايام من الموعد المحدد حتى تم غسل وطحن حبوب الطاف والداقوشا. وتوجهت بعض النسوة من اقارب ومعارف أم ترحس الى بيت السيد حدقو، وقمن بتتقية ثمار الشطة الحمراء الحارة من الشوائب العالقة بها، ومن ثم طحنها لتصبح جاهزة للاستعمال. كما قمن بتصفية السمن البلدي وتطعيمه بالبهارات المختلفة ليتم ازالة الروائح الغير مستحبة فيه. وقام بعض الرجال ذوي الصلات الوطيدة باسرة السيد حدقو بتجهيز "ألداس"⁽¹⁾. كما قامت أم ترحس، كما تفعل نساء قرية معلو، باستعارة أدوات الطبخ من قدور، وصواني، وصحون، وسكاكين، وكؤوس السوا التقليدية من بعض جيرانها المقربين، استعدادا ليوم الزفاف.

وفي ركن من بيت السيد حدقو، كن بعض النسوة المتخصصات بالتأكد من بكاره العذارى، يقمن بفحص ترحس للتأكد من سلامة بكارتها، وذلك من خلال ادخال جزء من الاصبع الصغرى. وعندما تعذر على احدهن ادخال ذلك في رحم ترحس، سارعت كبراهن باطلاق الزغاريد المدوية. وما ان سمعت النسوة اللاتي كن يقمن بتجهيز لوازم العرس، تأكدن من سلامة بكاره ترحس، لتعم في اوساطهن فرحة عارمة، وليبادلن تلك الزغاريد بزغاريد اكثر دويا.

(1) ألداس هو عبارة عن فسحة من الأرض ترص فوقها بعض الأخشاب المستطيلة للجلوس، وتنصب فيها الأعمدة الأفقية والعمودية، ليتم في النهاية تغطيتها ببعض اغصان واوراق الأشجار، وتزين ببعض الأقمشة المزركشة، حتى تكون مكانا صالحا تمكن المدعوين من تناول وليمة الزواج فيها.

وفي صبيحة اليوم التالي، اي في اليوم الثالث من موعد ما قبل اتمام العرس، قدمت بعض صديقات ترحس من فتيات القرية الى منزل العروس. وقمن بغسل جسد ترحس، وتوظيف وتصفيف شعرها على شكل جدائل متدلّية من رأسها. وحرمن على ترحس في الحال، لحين الانتهاء من العرس، من تناول الاطعمة المصنوعة من البقوليات، وعدم الاكثار من شرب الماء، والاكتفاء فقط على عصيدة حبوب الطاف او الداقوشا، وكل ذلك من اجل ان لا تصاب بانتفاخ معوي تضطر فيه الى الضراط او التبول، وتكون اضحوكة اهل عريسها، في يوم فرحتها الكبرى.

في مساء اليوم ما قبل العرس، قام السيد نجاش ودي اسفها باعتباره ولي امر حقوص ارعدوم، بتكليف جمع من الاقرباء الشباب، قدر تعدادهم بحوالي الخمسة عشر شابا، بالتوجه الى بيت السيد حدقو، البعض منهم يقوم بدفع بقرة قاموا بتغطيتها ببعض الاقمشة المزركشة، والبعض الآخر يقوم بدق الطبول والنفخ على المزامير التقليدية، وآخرون يقومون بالغناء. وما ان وصلوا الي البيت حتى قام بعض اقارب السيد حدقوخاصة الشباب منهم بالترحيب بمقدم ضيوفهم. وعلى الفور استلموا منهم البقرة التي اهديت لهم، بينما كان الآخرون يدقون الطبول. وما هي لحظات حتى انخرط الكل القادمون والحاضرون طيلة الليل في حلقات الرقص التي تعرف "بالقايل". وما ان اصبح الصبح، حتى قام اهل العروس بتقديم عصائد الطاف كطعام للإفطار.

في صبيحة يوم العرس والذي صادف يوم الاحد من الاسبوع الثاني من شهر طري (يناير) 1949م، قدم حقوص ارعدوم يرافقه السيد نجاش ودي اسفها الى منزل السيد حدقو. وبعد الترحيب المتبادل، اتفق الطرفان على اصطحاب العروس الى كنيسة القرية، وما ان وصلوها حتى استقبلهم كاهن القرية ليدخلهم على الفور الي صحن الكنيسة، ويقوم بإجراء الترتيبات اللازمة، مثل التأكد من رغبة الطرفين

من الاقتران ببعضهم البعض، والعيش معا بصورة مشتركة. وما ان تأكد من ذلك حتى قام بتلاوة بعض من آيات الكتاب المقدس على مسامع العروسين. ليقوم بعدها بإبلاغ الحضور عن انتهاء مراسم الزواج وفقا للمذهب الارثودوكسي الذي يلتزم به غالبية سكان مرتفعات ارتريا.

في منتصف ذلك اليوم توجه فريق من اقرباء واصدقاء حقوص ارددوم الى منزل السيد حدقو لاحضار العروس. وما ان وصلوا الى "الداس" المخصص للمناسبة حتى ارتفعت اصواتهم بالغناء، وتمجيد العروس، وازدادت دقات طبولهم، وشرعوا في القيام برقصة "القايل". وفي المقابل سرعان مابادلهم اهل العروس، خاصة النساء والفتيات منهن، وكل من حضر العرس، بالغناء والزغاريد، ودق الطبول، والعزف على الادوات الموسيقية التقليدية.

وما ان احس الكل بضرورة تناول الطعام، حتى قدمت الاواني المليئة بالانجيرة المبتلة تماما بمرق الزقني، والمليئة بقطع من اللحم البقري. ووزعت كؤوس سوا الداقوشا للراغبين بشربها. وما ان فرغ القوم من تناول ماقدم لهم من طعام وشراب، حتى تبادل اهل العروسين الهدايا التقليدية بمناسبة الزواج. وقام السيد حدقو بدوره بتقديم مبلغ من المال وربع من لحم البقرة التي استلمها اليوم الفائت الى اهل حقوص ارددوم. ليقوم بعد ذلك اهل العريس بأخذ عروسهم الى منزل السيد نجاش ودي اسفها على ظهر احدى البغال التي اتوا بها، إلا حين ان يتمكن حقوص من اخذها فيما بعد الى منزله في مدينة مصوع.

وبينما كانت قرية معلو غارقة في فرح عرس ترحس وحقوص، لم تتوقف عجلة السياسة من الدوران في جميع الإتجاهات.

(6)

كان الناس يناقشون ويحاججون فيما يتعلق بمستقبل بلادهم السياسي. وقد كان ذلك انعكاسا لصورة ازدياد اهتمامهم السياسي الغير مسبوق. فمنهم من كان يحاجج باهمية الوحدة مع اثيوبيا، والبعض الآخر كان يطالب بالاستقلال الفوري، وجزء لا بأس به طالب بالوصاية البريطانية او الايطالية، او وصاية الامم المتحدة، وذلك كرد فعل قاطع للوحدة مع اثيوبيا.

كان كل منهم يطرح مبرراته، ويبدع في تسويق رأيه بهدف اقناع الآخرين. وكانت جل تلك الاطروحات تأخذ ابعادا متعددة. فالبعض منها تجدها تأخذ ابعادا عاطفية مصبوغة بإطار طائفي، او قبائلي، والبعض الآخر منها طغت عليها المصالح الانانية الضيقة. ومع ذلك، وعلى الرغم من ممارسات قطاع الطرق ونتائجها المدمرة، واستمرار الاحتقان السياسي، فقد كان هناك اهتمام كبير من قبل المواطنين بشأن ما وصلت اليه القضية الارترية من تطور خاصة ماكان يجري من نقاشات في اروقة الامم المتحدة.

كان عام 1948-1949م عاما هاما شكل اهم تحول سياسي فيما يتعلق بمصير مستقبل البلاد السياسي. ففي ذلك العام إستأسد حزب الوحدة واصبح يشكل العمود الفقري لتحقيق مصالح اثيوبيا، بالاضافة الى ذلك تم تشكيل الكتلة الاستقلالية التي تكونت من احزاب متألفة⁽¹⁾ تطالب بصورة صريحة بالاستقلال الفوري لارتريا. الا ان تلك التجربة سرعان ما انهارت وذلك بفعل مآدب فيها من اختلاف، لتتشق عنها احزاب صغيرة البعض منها يطالب بالاتحاد مع اثيوبيا تحت حجة حماية مصالح المسلمين، وقد تمثلت هذه المجموعة في رابطة المسلمين في مصوع.

(1) تشكلت الكتلة الاستقلالية من احزاب وجمعيات الرابطة الاسلامية، حزب ارتريا الجديدة، الحزب التقدمي، حزب ارتريا المستقلة، جمعية المحاربين القدماء، الجمعية الايطالية الارترية وجمعية المثقفين الارتريين.

والبعض الآخر وكان يضمن مجموعتين طالبت بالوحدة مع اثيوبيا ضمن شروط معينة وعرفت بحزب الوحدة الليبرالي، وحزب ارتريا المستقلة المتحدة مع اثيوبيا، وفريق ثالث عرف باسم الرابطة الاسلامية للمديرية الغربية طالب بوصاية بريطانيا على المنطقة الغربية لمدة عشر سنوات، وترك الاجزاء الاخرى من ارتريا لتقرر مصيرها.

ضمن ذلك الواقع السياسي الارتري الغير متجانس، وحالة الانقسام الحاد بين اعضاء اللجنة الرباعية للأمم المتحدة حول مستقبل ارتريا السياسي. علم مواطنوا ارتريا بان مجلس وزراء خارجية الدول الاربع الكبار احوالوا قضيتهم على الجمعية العامة للأمم المتحدة. وازداد رفض الاصدقاء الثلاث لذلك الواقع وبدؤو يهتمون اكثر من ماضى بقضية شعبهم التي اصبحت الرابط التي تجمعهم، وتقوى من عزيمتهم. ولم يملوا من البحث والجرى الحثيث لمعرفة حقائق الامور، وخوض النقاشات والحوارات الواسعة، وتبادل وجهات النظر، سواء فيما بينهم او مع الآخرين.

وذات مساء وبينما هم يناقشون آخر المستجدات، طرح حقوص السؤال التالي:-

- ماهي آخر تطورات قضيتنا في الجمعية العامة للأمم المتحدة؟.

انبرى ادريس للموضوع قائلا:-

- بعد ان عجز مجلس وزراء الدول الاربع الكبار من التوصل الى موقف

مشترك تجاه قضيتنا، قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتحويل

قضيتنا الى لجنتها السياسية للبت فيها، وتقديم ما تراه من توصيات او

آراء.

واضاف:-

- إلا ان اللجنة السياسية هي الاخرى لم تسلم من الخلاف حول قضيتنا.

وبدون تفكير قال حقوص:-

- لماذا الخلاف عندما تثار قضيتنا، ليست هي احدى قضايا تصفية آثار الاستعمار، التي يتشدد بها ليل نهار كل من احس بانه نصير لقضايا الشعوب؟.

ابتسم اسماعيل على غير عادته، ليقول اخيرا:-

- لقد ناقشنا قبل الآن لماذا يختلف الكبار عندما يصلون الى قضيتنا. ولا بأس من العودة لتوضيح هذه المسألة.

واضاف:-

- اننا كما نعلم، فان بلادنا وعلى الرغم من انكار العديد من الدول الاستعمارية خاصة الانجليز منهم، تتمتع بخيرات كثيرة. وهي تسيطر بالاضافة الى ذلك، على اهم موقع استراتيجي في شرق افريقيا وحوض البحر الاحمر. وكما هو معلوم فان من يسيطر على هذا الموقع الفريد فانه سوف يتمكن من السيطرة على عموم المنطقة. وهذا بطبيعة الحال يؤدي الى فتح شهية المستعمرون، والطامحون. ومن هنا فان كل القوى الكبرى لا تريد ولا تود ان ترانا نحكم انفسنا بأنفسنا.

تشعب الحديث بين الثلاثة حول طبيعة الخيرات الارتزية، وكيف كان يستغلها الطليان ومن بعدهم الانجليز. واهمية الموقع الاستراتيجي لارتريا. ولماذا تسمح الدول الكبرى باعطاء شعوب المستعمرات الايطالية حقها في تقرير المصير، بينما ترفض ذلك الحق لارتريا. وغيرها من المواضيع المرتبطة بذكرياتهم عن الوجود الايطالي والبريطاني. الا ان ادريس احس بان من الضرورة اعادة النقاش الى مجراه الحقيقي ليقول:-

- دب الخلاف عند بحث قضيتنا في اللجنة السياسية. وظهرت عدة آراء، فقد رأى ممثلوا باكستان والارجنتين والسعودية ولبنان، والصين، ويوغوسلافيا اعطاء ارتريا الاستقلال التام. وطالب البعض ومن بينهم

الهند وجواتيمالا بتكوين لجنة من الامم المتحدة لاجراء تحقيق جديد في
ارتريا.

سأل حقوص:-

- ولماذا لجنة تحقيق اخرى؟

رد ادريس:-

- لمعرفة وتحديد رغبة الشعب الارتري في تقرير المصير.

تدخل اسماعيل:-

- ان تشكيل لجنة تحقيق ماهو سوى مضيعة للوقت. واخشى ان لا يكون

هناك تلاعب ما.

اراد حقوص معرفة مواقف كل من بريطانيا وايطاليا، فرد عليه ادريس:-

- حدث وان تم تفاهم بين كل من وزيرى خارجيتي بريطانيا وايطاليا، وقد

عرف ذلك باتفاق "بيفن - سفورزا" والذي بموجبه يتم تقسيم ارتريا الى

قسمين، بحيث يضم الجزء الغربى الى السودان، وما تبقى من ارتريا

يضم الى اثيوبيا. الا ان هذا المشروع لم يحظا بموافقة الجمعية العامة،

وكان مصيره السقوط في النهاية.

وماذا عن الدول الكبرى الاخرى؟ سؤال وجهه حقوص ليرد عليه ادريس:-

- لقد وافقت كل من امريكا وفرنسا على مشروع تقسيم ارتريا. اما الاتحاد

السوفيتي فانه لم يغير رأيه اذ طالب كالسابق بمنح ارتريا الاستقلال على

شرط ان تقدم لاثيوبيا منفذا بحريا.

حاول ادريس ان يشرح لاصدقاؤه المزيد:-

- لم يتفق مندوبي الدول في الجمعية العامة للامم المتحدة حول صيغة

موحدة فيما يتعلق بمصير بلادنا. ولذلك صدر من قبل الجمعية العامة

القرار رقم 287 في 18 مايو 1949م والذي نص على النظر في مستقبل ارتريا في الدورة المقبلة.

بعد ستة اشهر اي في 21 نوفمبر 1949م اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الرابعة التي عقدت في 20 سبتمبر 1949م القرار رقم 289 - أ - 4 الذي نص على ارسال لجنة خماسية مكونة من كل من بورما، جواتيمالا، النرويج، جنوب افريقيا والباكستان. وذلك من اجل التأكد من رغبة الشعب الارترى.

في 13 فبراير 1950م انتشر في البلاد خبر وصول اللجنة الخماسية التي عرفت باسم "بعثة الامم المتحدة الى ارتريا". وكالعادة كان حقوق تواقا اكثر من اسماعيل لمعرفة آخر تطورات ومهام اللجنة الخماسية فسارع قائلاً:-

- كثر مجيئ اللجان في بلادنا. وهذه هي المرة الثالثة التي تشكل لجنة فيما يتعلق بنا. فما هو مهمة هذه اللجنة الجديدة؟.

رد ادريس:-

- هذه اللجنة تختلف في تركيبها عن كل اللجان السابقة، فهي لا تضم اي من الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية.

تدخل اسماعيل بحدة:-

- وماهو اوجه الخلاف بين هذه اللجنة ومن سبقوها من لجان؟. انني لازلت ارى بان اللجان سوف لن تحقق مطالبنا.

رد ادريس وهو متفائلا على غير عادته:-

- تضم هذه اللجنة ممثلين من بلدان كانت تحت سيطرة المستعمر الانكليزي مثل الباكستان وبورما. كما تضم بلدا افريقيا هو جنوب افريقيا.

وربما قد تتعاطف مثل هذه البلدان مع مطالبنا، وتدفع باتجاه تحقيقها.

واضاف:-

- ان احد ابرز مهام هذه اللجنة يتمثل في التأكيد على صحة الادعاءات التي تقدم لها سواء من قبل الاهالي، ام من قبل الادارة الانجليزية. وهذا بالتأكيد سوف يصب في مصلحتنا. اذ ان مؤيدي اثيوبيا سوف لا يجدوا الفرصة لنشر اكاذبيهم حول مطالب شعبنا في تكوين بلد خاص بنا.

اقترح اسماعيل:-

- من المهم جدا التعرف على اللجنة. وحبذا لو امكن اللقاء بها بصورة مشتركة، او بصورة فردية، لنتمكن من شرح طبيعة الاوضاع. وهذا حق من حقوقنا كمواطنين.

رد ادريس:-

- اعتقد باننا لا نستطيع ان نلتقي باللجنة بصورة جماعية. فنحن ان لم نكن مواطنين عاديين، فاننا لا نمثل حزبا او جماعة سياسية معترف بها. لكن هذا لا يعني باننا لا نستطيع اللقاء باللجنة مع اقراننا من مواطني منطقتنا. بالاضافة الى ذلك فانه يمكننا ان نتبع نفس الاسلوب السابق وهو اللقاء بمن التقى باللجنة وذلك لمعرفة مختلف الآراء والمنطلقات سواء المحلية، او آراء ومواقف اللجنة.

كان ادريس منطقيًا، اذ سرعان ما حذى رايه بموافقة كل من اسماعيل وحقوص. ليتفق الثلاث على ان يبذل كل منهما جهده لجمع المعلومات خلال فترة تواجد "بعثة الامم المتحدة الى ارتريا"، في البلاد.

التقت "بعثة الامم المتحدة الى ارتريا" بالعديد من ممثلي الاحزاب الارترية، والسلطات البريطانية في الفترة من 14 فبراير وحتى 8 ابريل 1950م. بالاضافة الى ذلك فقد اجرت سلسلة من المشاورات مع حكومات ايطاليا وبريطانيا واثيوبيا. ومن ناحية اخرى التقى الاصدقاء الثلاثة على حدى بالعديد من اعضاء مختلف

الاحزاب، وتحصلوا على معلومات قيمة افادتهم في معرفة التطورات السياسية الجارية في البلاد.

وما ان غادرت البعثة الاراضي الارترية حتى اسرع الاصدقاء الثلاث في اجراء لقاء بينهم وذلك لتبادل المعلومات واجراء التشاور.

افتتح ادريس اللقاء قائلًا:-

- مضى اكثر من شهرين ونحن لم نلتق، وهذه فرصة طيبة للقاء خاصة لتبادل المعلومات التي يحملها كل منا في جعبته، مما سوف يفيدنا هذا في تحليل واقعنا السياسي، ويفتح لنا المجال في استخلاص العبر ووضع الخطط، او اسلوب العمل الذي يمكننا من مواصلة جهدنا لتحقيق رغبات شعبنا.

واضاف:-

- اذا لم يكن لكم اعتراض فإنني اود ان ابدأ بالحديث.

لم يعترض اسماعيل او حقوص على ان يبدأ زميليهما بطرح ما يملكه من معلومات، خاصة وانهما يكانان الكثير من الاحترام والتقدير له.

بدأ ادريس ليقول:-

- التقيت بالعديد من ابناء منطقتنا سواء المنضوين منهم في احزاب سياسية، او من غيرالملتزمين باي حزب سياسي. كما التقيت بالاخوة عبدالله ومحاري اللذين يعملان في مكتب بلدية مدينة مصوع. والحقيقة فقد استفدت منهما كثيرا. كما انني التقيت بالعم "الجحدري" وهو صاحب مطعم في مصوع يتردد عليه العديد من الناس العاديين منهم والرسميين، مما مكنه ذلك من ان يكون ملما بالاوضاع ومتابع لها بصورة واسعة. لقد افادني هذا الرجل كثيرا على تكوين صورة للوضع السياسي القائم،

ومدى الانقسام الحاصل بين مختلف الاحزاب والقوى السياسية في بلادنا.

توقف ادريس عن الكلام قليلا ريثما يأخذ رشفة من فنان الشاي الموضوع امامه، بينما كان زميله في احر من الجمر لسماع ما تبقى من شرحه. ليواصل حديثه:-

- لقد خلصت من اللقاءات التي اجريتها مع العديد من الناس، بان بعثة الامم المتحدة التقت بالعديد من ممثلي الاحزاب والتجمعات السياسية، واستمعت الى آرائهم. وكان رأي حزب الوحدة والمرتبطين به يتمثل في انه يرغب وبصورة عاجلة بربط ارتريا باثيوبيا وذلك للعديد من الاعتبارات التاريخية والثقافية وحتى الاقتصادية.

تدخل حقوص وعلى وجهه امارة السخرية من مطلب حزب الوحدة قائلا:-

- بأي حق يفسر او يبرر حزب الوحدة بوجود روابط تاريخية وثقافية واقتصادية بين ارتريا واثيوبيا؟

رد ادريس:-

- يعتقد حزب الوحدة بان ارتريا ونتيجة لفقرها لا تستطيع ان تعتمد على نفسها اقتصاديا. وان لارتريا امتدادات تاريخية وثقافية مع اثيوبيا منذ قديم الازمان. اما في الاطار الجغرافي العام فهو يعتقد بان ارتريا كانت جزءا من اثيوبيا. ويؤمن بان الارتريين قد حاربوا جنبا الى جنب مع الاثيوبيين ضد المستعمر الايطالي، ولهم ترابط اثني عميق مع القاطنين في اثيوبيا خاصة شمالها.

وماذا عن الكتلة الاستقلالية؟ .

سؤال وجهه حقوص.

رد ادريس:-

- كان موقف الكتلة الاستقلالية التي عبرت عنه امام البعثة موقفا واضحا. اذ انها طالبت باعطاء ارتريا استقلالها الفوري. وبررت موقفها هذا، بان الشعب الارترى قادر على حكم نفسه بنفسه. وان ارتريا لم تكن عبر تاريخها الطويل جزءا من اثيوبيا. واستشهدت في التأكيد على ذلك، خضوع ارتريا للعديد من المستعمرين الاتراك والمصريين والايطاليين واخيرا البريطانيين.

ارتاح اسماعيل لرد ادريس، وقبل ان يفتر من الكلام، اراد ان يعرف ماذا كان موقف الكتلة الاستقلالية من الممارسات الارهابية لحزب الوحدة. وعلى الفور قدم سؤاله:-

- كلنا نعلم بالممارسات الارهابية لحزب الوحدة سواء تلك التي يقوم بها افراده بصورة مباشرة، او تلك التي تقوم بها مجموعات قطاع الطرق بوحى وتوجيه مباشر من الحزب. وسؤالي يتلخص في موقف الكتلة الاستقلالية من كل ذلك؟.

رد ادريس:-

- اتهمت الكتلة الاستقلالية بصورة مباشرة وصريحة حزب الوحدة بممارسة الارهاب. كما ادانت الدعم والمساندة التي تقدمها الحكومة الاثيوبية للحزب. بالاضافة قدمت الكتلة الاستقلالية اثناء لقائها ببعثة الامم المتحدة انتقادا شديدا لمحاولات بريطانيا الهادفة الي تجزئة ارتريا.

واضاف:-

- اما مايعرف برابطة مسلمي المنطقة الغربية، وهي التي انشقت عن الرابطة الاسلامية كما هو معروف، فإنها طالبت وبصورة تتم عن توجه اقليمي اثناء لقاءها باللجنة بالوصاية البريطانية على المنطقة الغربية لفترة زمنية محدودة، يتم بعدها تشكيل دولة خاصة بها. وبأنها لا تهتم

ببأقي الأجزاء الأرترية تحت حجة أن أصحاب تلك المناطق أدرى
بواقعهم.

ألاحظ الأصدقاء الثلاثة بأن وقت التوجه إلى منازلهم قد حان، وأن من الأفضل
لهم مغادرة مصوع، خاصة وأن الوقت قد شارف على السادسة والنصف مساءً.
واتفقوا على معاودة لقاءهم في يوم الغد.

في اليوم الثاني انتهز الأصدقاء الثلاثة يوم عطلة الأحد ليلتقوا في الرابعة ظهراً
في بيت أدريس في قرية الشيخ حليب. وما أن وصلوا حتى قدم لهم أدريس الماء
والشاي. وبعد تبادل التحايا أقرروا بمواصلة ماتوقفوا عنده من نقاش. فأقترح أدريس
أن يقوم حقوص بالبدء بما لديه:-
تتنح حقوص ثم قال:-

- التقيت قبل أسبوعين تقريباً في مصوع بأحد كبار تجار الحبوب الغذائية
ويدعى مبرهتو قايم الذي يعيش في اثيوبيا. وقد قدم إلى مصوع
للاستحمام بماء البحر عل ذلك يفيد في معالجة ما يحس به من آلام
في ركبته اليمنى. والواقع فإن معرفتي بهذا الشخص قديمة جداً. فنحن
من قرية واحدة، ولنا صلات قرى عائلية. ولم تنقطع العلاقة بيننا إلى
حين سافر قبل عشر سنوات مع والده إلى أدريس أبابا، التي أجاد فيها
المتاجرة بالحبوب الغذائية. وحسب علمي فإن لمبرهتو علاقات واسعة
بالعديد من الإثيوبيين، ويكاد متأثراً باطروحاتهم فيما يتعلق بالمستقبل
السياسي لارتريا. إذ كان ولازال يرى بأن ارتريا لا يمكن أن تبقى بلداً
مستقراً دون أن تعود إلى حضن أمها اثيوبيا. كما أنها لا يمكن أن
تتخلص من مصاعبها الاقتصادية إلا بالاندماج بالاقتصاد الإثيوبي.

لم يتمكن اسماعيل من السيطرة على اعصابه:-

- لماذا تلتقي بمثل هذه الشخصية العميلة والمرتبطة باثيوبيا؟. كان الاجدر بك ان تصفع وجهه وتدمى أنفه عندما تحدث نيابة عن الاثيوبيين.

تنبه ادريس لحدة كلام اسماعيل، ومن اجل التخفيف عن وقعه قال:-

- لقد اختلطت الامور بالكثير من الارتبيين. فأنا شخصا لا الوم مبرهتو فهو يأكل من فتات الاثيوبيين، ولا يمكن ان يمارس تجارته دون رضى منهم. وعلى العموم فمن حق مبرهتو ان يعتقد مايشاء، كما لنا الحق في تبني مانراه ضروريا لخدمة شعبنا.

تدخل اسماعيل:-

- نعم من حق اي كان ان يكون له رأي خاص به، الا ان هذا لا يعني ان يكون رأي أي شخص مبنيا على الاكاذيب مثل رأي مبرهتو. وعموما فإنني آسف على مقاطعتي لآخي حقوص.

واصل حقوص حديثه:-

- نعم فالرجل واعني بذلك مبرهتو قايم، لازال متأثرا باطروحات الاثيوبيين. وربما يعود ذلك الى البعد عن دياره واهله ومعارفه.

واضاف:-

- على العموم انا شخصا لا يهمني موقف مبرهتو، بل كنت ولا ازال ارى بضرورة اللقاء بمثل هؤلاء بهدف الحصول على المعلومات. التي يمكن ان تساعدنا في تعرية الساقطون امام شعبنا وامام المخدوعين منا.

تدخل ادريس ليقترح:-

- علينا عدم اضاءة الوقت في قضايا ثانوية. وعلينا العودة الى لب موضوع نقاشنا.

ادرك حقوص بان عليه العودة لما قد بدأ به، ليقول:-

- استفسرت عن مبرهتو عن النشاطات التي قامت بها بعثة الامم المتحدة الى ارتريا في اثيوبيا، وماذا طرح عليها الاثيوبيون، فأكدلي "بان البعثة زارت العديد من المدن الاثيوبية، واجرت سلسلة من اللقاءات بأقطاب حكومة صاحب الجلالة الامبراطور هيلي سيلاسي وعلى رأسهم معالي وزير الخارجية السيد أكليلو ولدهبت، للتشاور بشأن مستقبل ارتريا السياسي". وعندما سألته عن ما اذا كانت هناك مطالب محددة تقدمت بها الحكومة الاثيوبية، اجابني "ان مطالب حكومة صاحب الجلالة هي نفس المطالب التي يرفعها شعب ارتريا، الا وهي دمج ارتريا باثيوبيا بصورة تامة ودون اي شروط مسبقة".

لم يكن اسماعيل مرتاحا في هذه المرة ايضا من الكلام الذي سمعه، فتدخل مستفسرا:-

- الم تسأله متى وكيف كانت مطالب الشعب الارتري متطابقة مع مطالب ومطامح الحكومة الاثيوبية؟.

رد حقوص:-

- في الواقع لقد تحاججنا كثيرا حول مطالب الشعب الارتري، واكدت له بان اثيوبيا تستخدم مطالب بعض المؤيدين لها من اجل الاستيلاء على الاراضي الارترية وعبر ذلك الحصول على منفذ بحري لها. كما اوضحت له بان اثيوبيا تريد ارض ارتريا وليس شعبها.

عادت البسمة على شفتي اسماعيل، واراد معرفة رد فعل مبرهتو فقال:-

- وماذا كان رده؟.

اجاب حقوص:-

- لم يكن رده سوى ترديد ما تقوله الحكومة الاثيوبية. فقد كان مصرا بوجود تاريخ مشترك بين الشعبين منذ آلاف السنين عطل نموه الوجود

الاستعماري الايطالي. وان ارتريا واثيوبيا يشتركان في اللغة والعادات والدين، وان اقتصاد ارتريا لا يمكن ان ينهض ان لم يندمج بالاقتصاد الاثيوبي.

واضاف:-

- انني اعتقد بان العديد من الارتريين ولمصالح خاصة بهم يسعون الى تبرير الاطروحات الاثيوبية تحت دعاوي لا تمت باي صلة واقعية. وكل ذلك من اجل المحافظة على مصالحهم.

رأى ادريس بان من الضروري التطرق لهذه المسألة:-

- نعم يسعى البعض منا الى ممالئة الاطروحات الاثيوبية ليس حبا في اثيوبيا بذاتها، او مراعات لمصالح ارترية، بل من اجل تحقيق مصالحهم وللمحافظة عليها. ومعظم هؤلاء هم من التجار الذين وجدوا الفرصة للمتجارة في اثيوبيا.

واضاف:-

- لذلك علينا عدم التهاون مع مثل هؤلاء، والسعي قدر المستطاع الى كشفهم وتعريتهم.

بعد ذلك اعطيت الفرصة لإسماعيل للتحدث عن المعلومات التي بحوزته، فقال:-

- التقيت هنا في مصوع بالباشاي حامد شاويش، وهو احد اعيان قري منطقة سمهر، ومن ابرز مؤيدي بقاء ارتريا تحت وصاية الحكومة الايطالية لفترة زمنية، ثم تعطى الفرصة للشعب الارتري لتقرير مصيره عبر استفتاء عام، تحت اشراف الامم المتحدة. وعندما حاججته على موقفه هذا، اوضح لي "ان ايطاليا تعرف اكثر مما نعرفه نحن عن بلدنا ارتريا. وقد كان لها الفضل الكبير، بالرغم من المرارات التي عانينا منها، في تطويرنا وبناء بلدنا. وانني أوّمن بان ايطاليا خرجت بدرس واقعي بعد

هزيمتها من قبل الانكليز. وهي في اعتقادي، تؤمن بحق تقرير المصير لارتريا عبر احترام رغبات وحقوق سكان ارتريا والايطاليين المقيمين بها". وعندما سألته عن موقف ومطالب الانجليز، وما قدموه من رأي لبعثة الامم المتحدة، ابلغني "ان بريطانيا تتعاطف تماما مع مطالب اثيوبيا. فهي لا تعارض فقط، لاسباب لم اجد لها اي مبرر، اعطاء ارتريا استقلالها، بل تسعى الى تقسيم ارتريا بين السودان وارتريا".

احس المجتمعون بان الوقت قد داهمهم، ولم يلاحظوا ذلك الا بعض مضي اكثر من اربع ساعات من الاخذ والعطاء، والتداخل والتقاطع بالحديث فيما بينهم. ولم يكن لهم خيار سوى النوم. الا ان ادريس كان مصرا على التطرق لمواقف وآراء من تبقى من الدول التي التقت بهم "بعثة الامم المتحدة الى ارتريا" مثل مصر. فاقترح ان لا ينصرفوا دون التطرق لذلك. فبادر قائلا:-

- قبل ان ننصرف، علينا التحدث عن مواقف الدول الاخرى التي التقت "بعثة الامم المتحدة الى ارتريا".

حرك اسماعيل وحقوق رأسيهما دلالة على موافقتهما. وعندما ادرك ادريس بان لا اعتراض لهم على اقتراحه قال:-

- لم تكن مصر حسب ما علمته من العديد من المصادر المطلعة مهتمة بما يجرى في ارتريا. فلذلك طالبت اثناء لقائها بالبعثة، بضمان وحدة الاراضي الارتزية، وبانها سوف تعبر عن وجهة نظرها بعد ان تطلع على نتائج تقرير بعثة الامم المتحدة الى ارتريا.

وماذا عن فرنسا التي يقال بان البعثة التقت بها؟ سؤال طرحه حقوق؟
رد ادريس:-

- لم اتحصل على اي معلومة حول الموقف الفرنسي. وبالتالي لا يمكنني ان اشرح رؤية فرنسا حيال المستقبل السياسي لارتريا.

ادرك ادريس بان من الواجب استضافة رفيقيه والمبيت عنده، خاصة وان من غير الجائز السماح لهم بالذهاب، وقد شارفت الساعة على التاسعة والنصف مساء. وعلى الفور احضر لهم طعام العشاء الذي اعدته زوجته فاطمة منذ فترة، وذلك بناء على طلب زوجها. وبعد ان فرغوا من تناول عشائهم، قام ادريس بمد البرش الذي صنعه السيدة ملوك من اوراق شجر الدوم في فناء المنزل ليتمدد عليه صديقيه، ويغرقوا في نوم عميق لم يستفيقوا منه الا في الخامسة فجرا.

بعد حوالي ثلاثة اشهر من مغادرة "بعثة الامم المتحدة الى ارتريا" اي في الاسبوع الاول من يوليو من عام 1950م تناولت العديد من الصحف المحلية في ارتريا تلخيصا للتقرير الذي رفعته البعثة للدورة الخاصة للجمعية العمومية للأمم المتحدة، والذي ظهر فيه تباين واضح في مواقف اعضاء البعثة من ارتريا ومستقبلها السياسي.

ولاحظ العديد من قراء تلك الصحف بان وفد بورما واتحاد جنوب افريقيا اوصى باقامة اتحاد فيدرالي بين ارتريا واثيوبيا. واوصى وفد النرويج بتقسيم ارتريا بين اثيوبيا والسودان. بينما اوصى وفدا غواتيمالا والباكستان بوصاية الامم المتحدة على ارتريا لفترة عشر اعوام، ومن ثم منح ارتريا استقلالها التام.

ما ان شارف الاسبوع الاول من ديسمبر من عام 1950م على الانتهاء حتى اسرع ادريس بطلب عقد لقاء بزميليه للإطلاع على ما صادقت عليه الجمعية العام للأمم المتحدة من مشروع القرار الامريكي بتاريخ 2 ديسمبر 1950م والذي ينص على ربط ارتريا فيدراليا باثيوبيا.

وعلى الفور قبل الاصدقاء الثلاث دعوة زميلهم، وعقدوا اجتماعهم في مقرهم الدائم وهو الكائن في دكان ادريس محمد صالح. وبدأ ادريس حديثه قائلا:-

- لقد حصلت على نسخة من صحيفة "نحن" المحلية التي تصدر باللغتين العربية والتجريدية، وبها نص القرار 390 أ - 5 لشهر ديسمبر 1950م الذي اصدرته الامم المتحدة بخصوص مستقبل ارتريا.

تدخل حقوص لمعرفة محتويات القرار:-

- ينص القرار على ان ترتبط ارتريا فيدراليا مع اثيوبيا، تحت سيادة التاج الاثيوبي، بالاضافة الى ان الجمعية العمومية للامم المتحدة إنتخبت السيد أدوردو أنزو ماتينزو لمنصب مبعوث الامم المتحدة في ارتريا.

وغرق الاصدقاء الثلاثة في حزن عميق.